

الحقوق المدنية المقررة في قوانين مصر الفرعونية

(العدالة – المساواة- حرية التعاقد- حق التقاضي ونزاهته)

. مصطفى أحمد إبراهيم نصر

جامعة شقراء بالمملكة العربية السعودية

:-

تميزت الحضارة الفرعونية بأنها ذات صبغة دينية أساسها التوحيد والإيمان بالبعث، وتمتعت بالسيادة والقوة، وشاع في ظلها قيم العدل والمساواة حتى علا عصر الضمير الاجتماعي وبالتالي عصر الأخلاق.

فجاءت القوانين معبرة عن ذلك ومقررة لأهداف عديدة أهمها تحقيق العدل - تحقيق التعاون والتضامن- تحقيق الأمن، وهذه هي أهداف

وقد أيقنت هذه الحضارة بالخلود الأخرى، فلم يفارق ذلك خيال كل المصريين، وبالتالي جاءت تصرفاتهم، حكما ومحكومين، تحقيقا للخلود الذي لن ينالوه إلا بالعمل الصالح.

إن الحضارة الفرعونية من أكثر الحضارات تقدما وتطورا في جميع النواحي وأهمها القانون، بل واستقت منها الحضارات القديمة الأخرى كثير من النظم القانونية.

ونظرا لهذا التقدم الملحوظ ظهرت مبادئ قانونية عديدة، كان الفضل في إظهارها للحضارة المصرية، مثل مبدأ احترام القانون- شخصية العقوبة- فكرة النظام المالي للزوجين واستقلالهم، وكثير من العقود التي عرفها أولا المصري القديم مثل عقد الهبة وما تطلبه من رسمية- عقد العمل وغيرها.

كل هذه المبادئ والأفكار والعقود كانت من خلق القانون المصري القديم، وقد لا يصدق البعض ذلك طبعا لما انتشر من معتقدات خاطئة عن هذه الحضارة يسعى البحث إلى إزالتها، ويعد ذلك من سمة الإسلام الذي حث على البحث والتحري لنرى عظمة الله في خلقه وأنه جلا وعلا معبودا واحدا منذ القدم، " أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين منق بلهم وكانوا أشد منهم قوة^٤ وما كان الله ليعجزه من شيء^٥ في السماوات ولا في الأرض^٦ إنه كان عليما قديرا" () .

كل ذلك يدعونا إلى التعمق في دراسة قوانين الحضارة الفرعونية، وخاصة ما يتعلق منها بالحقوق المدنية للمصريين، وهي الحق وتحفظ لهم حقهم في المساواة دون أي تمييز، وحقهم في معاملة حسنة دون

قسوة أو إكراه، وحقهم في إبرام ما يريدون من عقود، وحقهم في اللجوء إلى قاضيهم الطبيعي مع ضمان محاكمة عادلة ونزيهة، وغيرها من الحقوق.

ويلقى البحث الضوء على بعض من هذه القيم القانونية (الحقوق المدنية)

والإقطاع، حيث شاع فيها الظلم وعدم المساواة على غير عادة المصريين بل هو طارئا على هذه الحضارة، التي تميزت بالعدل في أسمى معانيه والتنظيم

أهمية الدراسة:

لأن القانون الفرعوني قد أهملت دراسته لعدة أسباب كان من ضمنها تركيز الفقهاء على الدراسة الشرعية- اعتقاد الكثير بوثنية العصر الفرعوني وعدم عدالته، حتى أطلقوا على كل ظالم اسم فرعون، مما تنامي عدم الاهتمام بهذه الحضارة.

إلا أن الحقيقة التي يحاول البحث إثباتها هي أن الحضارة الفرعونية تمتعت بقيم أخلاقية كثيرة، وأن المصريين القدماء قد تمتعوا بحقوق مدنية لم تكن معروفة لدى بعض الحضارات القديمة، مثل العدل والمساواة.

يسهم البحث في إبراز رقي القوانين الفرعونية وبالتالي حث الفقه القانوني على البحث فيها، واستيق الأحكام منها، فقد ظلت القوانين الرومانية هي السائدة في تفسير الأحكام المستقاة من الدول الغربية ، وبالتالي انهال الفقهاء عليها بالدراسة حتى يفسروا الحكم القانوني، وأهملت القوانين الفرعونية الراقية في معظمها.

ويحاول البحث تأكيد معرفة المصريين القدماء لمبادئ سامية قد لا تعرفها بعض المجتمعات الحديثة، مثل العدل والمساواة بين الرجل والمرأة وقيمة العمل وغيرها من المبادئ التي استحدثتها الحضارة الفرعونية.

فجميع المبادئ والقيم السابقة ليست من صنع الحضارات الحديثة بل هي من صنع كل من تحلى بالتدين منذ القدم، فهي فطرة الله في الحضارات والبلدان إلى تقريرها، وهو ما فعلته الحضارة الفرعونية منذ آلاف السنين.

وأخيرا يحاول البحث معرفة أحوال الأمم السابقة، خاصة في مسائله الحقوق المدنية لما لها من أثر كبير في تغيير مفهومنا عن الحضارة الفرعونية وبالتالي الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة، لناخذ منها الدروس والعظات التي تفيدنا في تخطيطنا لمستقبلنا.

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

- هل عرف المصريون القدماء مبادئ المساواة بين الناس، وبالتالي
- ما مدى وجود الرق في هذه الحضارة؟
- هل يحق للمصري القديم أن يملك ويتقلد الوظائف؟
- ما هي المبادئ القانونية العادلة التي اعتمدها الحضارة الفرعونية؟
- ما هو مصدر كل هذه القيم الأخلاقية في الحضارة الفرعونية؟

منهجية البحث:

سنتبع في دراستنا المنهج الوصفي والتحليلي بحيث نصف الظاهرة محل الدراسة ونفسرها ونستنتج المشكلات الكامنة بالنقد والتصحيح والترشيد، ونتبع أيضا المنهج التاريخي بإبراز أقوال الفقهاء السابقين فيما يتعلق بموضوعنا، وبعد ذلك نستنتج العلاقة ونربط النتائج والأحداث مستنديين إلى الأدلة العلمية، ومستخدمين في ذلك المنهج المقارن.

_____:

لتحقيق أهداف

إلمباحث التالية:

- مبحث تمهيدي: مفهوم قيم العدالة والأخلاق وفلسفة التنظيم السياسي لدى

.

: مفهوم الأخلاق وأهميتها.

: مفهوم القانون.

: مفهوم الحضارة.

: أخلاق القانون في الحياة المعاصرة.

- : قيم العدالة والحرية الشخصية في الحضارة الفرعونية.

: قيمة العدالة والمساواة في مصر الفرعونية.

: الشخصية القانونية للأفراد ومدى قيام الرق.

: حقوق المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع.

: وترتيب المحاكم.

- :التنظيم

.

: نظام التملك في مصر الفرعونية.

.

.

- : مصدر القيم والأخلاق في القانون الفرعوني.

الخاتمة والتوصيات.

مبحث تمهيدي

مفهوم قيم العدالة والأخلاق وفلسفة التنظيم السياسي

لدى بعض الحضارات

تهدف القاعدة القانونية إلى تحقيق العدل والمساواة بما يحفظ استقرار الأمن

وأدى التقدم الملحوظ وطغيان الجانب المادي في حياتنا اليومية إلى أهداف القاعدة القانونية مجرد صورة خاوية من التطبيق العملي، وإن كان البناء قائما إلا أنه خاويا من معانيه، فتفشيت الرشوة والسرققة والنصب وكافة مظاهر الاعتداء المادي والجسدي على الآخرين، وهذا ما جعل عدم الثقة وانعدام الشعور بالأمان سائدا بين الأفراد.

إن هذه الممارسات اللاأخلاقية أدت إلى استيقاظ الضمير الإنساني بضرورة الربط بين الأخلاق والقانون، الأمر الذي جعل معظم القوانين في المجتمعات الحديثة تستند إلى أساس أخلاقي في محاولة لعودة الشعور بالأمان داخل المجتمع، فقد أيقن الإنسان أن حماية المجتمع بالقانون وحده غير مجدية ما لم تكن الأخلاق إلى جانبه، لما للأخير من سلطان على النفوس، وبذلك نضع ونقرر القيم الإنسانية والأخلاقية في المجتمع، ولن يستطيع أحد أن يمسهما سواء أكان حاكما أم فردا من أفراد المجتمع، وعليه سيكون المجتمع في مأمن وحماية من

هذا ما اكتشفه الإنسان الحديث وأقرته بعض القوانين، فهل عرفت الحضارات القديمة هذا المعنى أم لا؟ () وهذا ما سوف نناقشه الآن.

ونقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب كما يلي:

- : مفهوم الأخلاق وأهميتها.
- : مفهوم القانون.
- : مفهوم بالحد .
- : أخلاق القانون في الحياة المعاصرة

(1) فقد نجد بعض القوانين تعاقب السارق ولو سرق مبلغاً صغيراً، في حين أنها تتصالح مع من سرق مبالغ كبيرة من أموال الدولة، لقد بعدت هذه القوانين عن الأخلاق وهذا من شأنه أن يجعل نفوس الناس أكثر فساداً وأكثر تحايلاً ومكراً وخداعاً، فالقانون له سلطان على الإنسان في جهره فقط ولذلك تكثر نقاط الضعف فيه مما يجعل الإفلات من العقاب أمراً يسيراً، فإذا صلح ظاهر الإنسان دون باطنه فهو قمة الفساد والنفاق.

المطلب الأول

مفهوم الأخلاق وأهميتها

إن للأخلاق أهمية عظيمة في حياة الأمم، فهي قوة تمنع شرور الناس وتحفظ المجتمع وترتقي به، والإنسان يتطبع بأخلاق موروثه عن آبائه وأجداده، وبأخلاق مجتمعه وقيمه، وكلما تم أخلاقهم وعدم استبدالها بما هو دونها أرتقى هذا المجتمع وتقدم.

- _____ : جمع خلق، والخلق هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وهي صورة الإنسان بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة. ()

" خلق بالهينات والأشكال
والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة
بالبصيرة". ()

وواضح من التعريف السابق أن للأخلاق صورتين ظاهرة وباطنة، فالسلوك الظاهر هو وصف وخلق للسلوك الباطن، فإذا كانت الأخلاق الباطنة للشخص حميدة كانت السلوكيات الظاهرة حميدة أيضا، وبالعكس، وعليه فقد اهتمت الأديان وعلم السلوك الحديث بمحاولة تهذيب الأخلاق الباطنة حتى يأتي السلوك الظاهر نقيًا وخلقا، وهذا ما دفع إلى ظهور الاتجاهات الفكرية

(¹) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نجيب العرقسوسي، الناشر مؤسسة الرسالة لبنان، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م، ص ٨٨١.

(²) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية- دار القلم، الطبعة الرابعة ٢٠٠٩م، ١٤٣٠ هـ، ص ٢٩٧.

الحديثة التي تربط بين الأخلاق والقانون، وبدء الاهتمام بدراسة الأخلاق^(١).

- _____ -

عرف الغزالي الأخلاق بأنها " هي عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"^(٢).

وعرفها البعض الآخر بأنها " علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي يند يقصدها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي"^(٣).

الأخلاق عند ابن سينا تكمن في تحقيق الكمال، فالإنسان يكون قد استكمل إنسانيته ووفائها بحبه لمعرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، ومعرفة الرذائل

(١) ورغم ذلك فإن هناك اتجاه فقهي نادى بضرورة فصل القانون عن الأخلاق، ظهر في كتابات أوستن وبنتام في نهاية القرن الثامن عشر، واعتمد هذا الاتجاه على فكرة أن القانون واجب النفاذ بغض النظر عن موافقته أو منافاته للأخلاق.

فالفصل بين القانون والأخلاق عندهما يتمثل في الآتي:

- أن وجود قاعدة أخلاقية مرغوب فيها لا تعني أن هذه القاعدة ترتقي إلى مرتبة القانون.

- وجود قاعدة قانونية مخالفة للأخلاق لا ينفي عنها صفة القاعدة القانونية.

وهناك اتجاه فقهي آخر جعل من القواعد الإلهية ملزمة وتلغي كل ما يتعارض معها من القوانين، فيقول وليام بلاكستون " ما القوانين الإلهية سوى قواعد عليا ملزمة لكل القوانين الأخرى. إن القوانين الإنسانية تفقد سلامتها بمجرد تعارضها مع القوانين الإلهية".

راجع هـ. ل. أ. هارت، الوضعية والفصل بين القانون والأخلاق، تعليق د محمد نور فرحات، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة عين شمس، في ١٩٦٨/٧/١، ص ٦٣٦.

(٢) د سعد الدين السيد صالح، الأخلاق في ضوء الفكر الإسلامي، المجلة العلمية لكلية

أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر - الزقازيق، صدرت في ١٩٩٢/١١/١، ص ٢٠.

(٣) د أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مطبعة دارالكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٣١م، ص ٢.

وكيفية تجنبها، وعلى رأس هذه الفضائل فضيلة العدالة والمسد
()

وهناك تعريفات كثيرة لن نتعرض لها حتى لا نخوض في مسائل بعيدة عن
موضوعنا الذي نركز فيه على بيان موجز لتعريف العلماء للأخلاق تمهيدا

وبعد هذا العرض لمفهوم الأخلاق بقي أن نوضح بشيء من الإيجاز ما هو
مصدر هذه الأخلاق؟

يوجد خلاف واضح بين علماء الأخلاق حول مصدرها كما يلي:
- ذهب بعض الباحثون والعلماء إلى أن العرف والعادات والتقاليد هي

وبالتالي أصبح هو مصدر الأخلاق (١).

ولكن العرف غير ثابت ويتغير من وقت لآخر، فما كان مألوفاً ومتعارفاً عليه
قد يتغير ويصبح منكراً.

وعليه لا يمكن الاعتماد على هذا الرأي للقول بالعرف كمصدر للأخلاق،
وذلك تصديقا لقوله تعالى " وإذا قيل لهم

(١) ابن سينا، الأخلاق عند ابن سينا، مجلة دفاثر فلسفية الصادرة عن كرسي اليونسكو
للفلسفة- جامعة الزقازيق،==ومجلة دراسات إسلامية والتي تصدر عن الجامعة الإسلامية
بباكستان، عدد خاص عن الإسلام في بلاد ما وراء النهر، ٢٠١٥م، ص ١٩٠.

أطلق على ابن سينا " حجة الحق ، رئيس العقلاء، أمير الأطباء، أبو قراط العرب، أرسطو
الإسلام، المعلم الثالث، الشيخ الرئيس".

هذا عالم مسلم أبدع في ظل حضارة إسلامية وجاء بهذه الأفكار عن الأخلاق والعدل
والمساواة، وهناك الكثير غيره من العلماء المسلمين، وهذا يدل على فضل الحضارة
الإسلامية على العالم أجمع.

(٢) د/ أحمد أمين، كتاب الأخلاق، المرجع السابق، ص ٢٥.

ونرى أنه بتقدم الأمم والحضارات نجد أناس يخرجون عن التقاليد المعروفة ويعتبرونها
ضارة بالمجتمع، حيث يُقيمون الأشياء بمعايير جديدة، فيستهجنون ما اعتبره المجتمع
قديمًا حسنًا، وبالعكس، وينتشر هذا الرأي حتى يميل الناس إليه ويقتنعوا به، وبهذا يتغير
العرف، وهذه المعايير الجديدة قد يعترئها مرض فترئ الخير شرًا أو الشر خيرًا.

ما ألفينا عليها آباءنا^١ أولو كان آباؤهم يعقلون شيئا يهتدون")
(.

- وذهب علماء آخرون إلى أن مصدر الأخلاق هو الإنسان ذاته وطبيعته الإنسانية، فالنية والعقل والإرادة هم مصدر الأخلاق، فالعقل والاستدلال هما الحكمان اللذان يدرك بهما الخير والشر، فإذا نتج عن فعل معين نتائج حسنة وإيجابية عد ذلك خيرا، وإن عادت عليهم نتائج غير سارة أو سلبية عد ذلك شرا^(١).

وفقا لهذا الرأي يعتبر البحث والتفكير العلمي هما المقياس للحكم الأخلاقي، وعليه أصبحت الأخلاق تبنى على أسس عالمية تصلح لكل العرف الذي انحصر دوره على مجتمع معين أو بيئة معينة دون غيرها، فأصبح لكل أمة أو جماعة عرفها الخاص بها.

ورغم وجهة هذا الرأي إلا أنه لم يقدم لنا ما هو معيار العقل الذي نحتكم إليه، هل هو عقل الفلاسفة، أم أهل السياسة، أم أهل الدين، أم أهل الما

وبناء على ذلك فالعقل لا يصلح أن يكون (معيارا ومصدرا للأخلاق.

- ذهب رأي آخر إلى أن مصدر الأخلاق والقيم هو سلطة خارج الإنسان، وهو الله سبحانه وتعالى الإله، وأن الله عندما حرم أو حل شيئا ما فإنه يكون متفقا مع الطبيعة البشرية التي خلقها، فالقيم الأخلاقية مصدرها الله سبحانه وتعالى وعرفها الإنسان عن طريق الرسل التي أرسلها الله إليه^(١).

ونحن نميل إلى الرأي الأخير، فكلما تعلقت الأخلاق بالدين كلما ارتقى الإنسان وبالتالي ارتقت الحضارة التي ينتمي إليها، فقد رأينا الحضارة الإسلامية وما وصلت إليه من رقي وتقدم في كافة المجالات وخاصة القانونية والأخلاقية،

(١) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) د/ سمير عبدالمنعم أبو العنين، المضمون الأخلاقي للقواعد الدولية، بدون ناشر، الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٨٩م، ص ١٦٠.

ولم يتم ذلك إلا بربط الأخلاق بالدين، وسنرى لاحقاً الحضارة الفرعونية وما وصلت إليه من تقدم وأخلاق وذلك لاعتمادها على الدين كمعيار لكافة أوجه الحياة بما فيها القانونية.

المطلب الثاني

مفهوم القانون

رورات الحياة الاجتماعية كانت هي السبب الرئيسي لنشأة القانون وتطوره، ومن هنا برزت الأهمية الكبيرة لدراسة القانون.

فالارتباط لازم بين الحياة الاجتماعية للأفراد وظهور القانون المنظم للعلاقات الاجتماعية، فلا يستطيع الفرد وحده توفير المتطلبات الحياتية له ولأفرا أسرته، بل يلزم تفاعل بين أفراد المجتمع أخذاً وعطاءً حتى يعمر المجتمع، فهذه الحياة الاجتماعية وما ينتج عنها من قيام روابط ومنازعات بين أفرادها تؤدي إلى وجود الحقوق والواجبات، وبالتالي لزم وجود تنظيم محكم يضمن عدم الاعتداء والعدوان على الأفراد، وهو ما يضمن قيام العدل والطمأنينة وعدم انتشار الفوضى بين الناس، وبالتالي استقرار وتقدم داخل المجتمع.

وعليه فقد ظهر القانون وبه ضوابط تحكم السلوك الاجتماعي للناس، قائمة على العدل والمساواة، واجبة الاحترام من الجميع.

فالقاعدة القانونية تظهر في صورة تكليف للأفراد، صادرة لها احترام داخل الجماعة، لما لها من نفوذ وقوى مادية على الجميع^(١).

ويلزم بجانب القانون وجود قواعد أخرى تساعد على ضبط السلوك الإنساني من أهمها قواعد الدين والأخلاق، فخوف الأفراد من الاعتداء على حقوق الغير سيكون هنا مستندا إلى ضمير إنساني يؤنبه، وكذلك خشيته من عقاب

(١) د/ السيد عبدالحميد علي فوده، جوهر القانون، دار الفكر الجامعية، ٢٠٠٤م، ص ٨.

الله عز وجل، بالإضافة إلى العقاب المقرر في القانون، وهذا من شأنه أن يساهم في نمو وازدهار المجتمع الإنساني^(١).

وبناء على ذلك فإن القانون يستهدف تحقيق قيم ومبادئ مثالية داخل المجتمع، فالقيم هي مجموعة المبادئ والتعاليم والضوابط الأخلاقية التي تحدد سلوكيات الأفراد، وتخبرهم الفرق بين الحلال والحرام والصحيح والخطأ مثل التسامح والعدالة والأمانة والمساواة، وهذه القيم تختلف من مكان لآخر

وبتقدم المجتمع ورفيه يزداد الاهتمام بالقيم لما تجلبه للمجتمع من أمن واستقرار وتقدم، ويلزم أن نؤكد على ضرورة النظر إلى القيم نظرة موضوعية حتى تثبت للقيمة صفة العمومية والتجريد، فالنظرة الموضوعية للعدالة تعطينا صورة صحيحة عن العدل تتفق مع الحياة الإنسانية طبقاً لمعيار الرجل العادل، وذلك بخلاف الاعتماد على النظرة الشخصية أو الذاتية للعدل^(٢).

وعليه فإن تقدم ورفي المجتمع يعتمد بصورة أكبر على النظرة الموضوعية للقيم، والقول بغير ذلك يؤدي إلى تفشي الظلم والاضطهاد.

فإذا رأيت اضطهاداً للنساء، وتفشي العبودية، وعدم المساواة بين الأفراد، فإن هذا المجتمع قد اعتمد على النظرة الذاتية للقيم وترك النظرة الموضوعية التي تستند إلى حد كبير على الدين الإلهي في تقريرها وبيان أبعادها.

فالنظرة الذاتية هنا قد وظفت القانون لغرض استقرار الظلم والعبودية، وإن وجدت معاني العدل والمساواة فهي معاني وهمية ظاهرية فقط خاوية من

هذا بخلاف الاستناد إلى النظرة الموضوعية التي من شأنها وضع أسس قانونية عامة مجردة للحرية والعدل والمساواة وتحقيق الأمن، وبالتالي تقدم

(١) د/ محمد حسين أحمد منصور، نظرية القانون، بدون ناشر، ٢٠٠١م، ص ١٧.

(٢) د/ محمد حسين أحمد منصور، المرجع السابق، ص ٢٠.

بعد العرض السابق لأهمية القانون ودوره في المجتمع وما يقدمه من أمن وسلامة وعدل ومساواة، وغيرها من القيم الجميلة في المجتمعات المتحضرة الراقية، لزم بعد ذلك أن نوضح ما هو تعريف القانون المعتمد لدى الفقهاء، وذلك كما يلي:

كما سبق القول فإن القانون يعد أحد الأساسيات الملازمة لوجود المجتمع، وذلك لما يحققه من تحديد وتنظيم لحقوق وواجبات الأفراد، وعليه فقد تعددت تعريفات القانون والتي منها:

- " وهو المعنى العام للقانون، أو هو " القواعد السارية في بلد معين وفي زمن معين"، وقد يقصد به " مجموعة القواعد التي تنظم حياة الأفراد فيما يتعلق بمسألة معينة أو نوع معين من الروابط" (١).
- وذهب البعض الآخر إلى أن القانون هو " السلوك الاجتماعي للأفراد ويقترن الخروج عليها بجزاء توقعه مطردة على وجه مستمر، أو مستقر ومنظم"، أو هو " القواعد السلوكية الملزمة للأفراد في المجتمع" (٢).
- وذهب البعض الآخر، ومنهم " " stern"، إلى تعريف القانون بأنه " كل مركب يتضمن مجموعة من المعايير الاجتماعية التي تنظم السلوك الإنساني، وهذه المعايير ذات طابع اجتماعي لها خصائص القهر والإجبار"، وقد اهتم علماء الاجتماع عند تعريفهم للقانون بأنه يرتبط بصورة أساسية بعمليات التغيير والتحديث في ذ العلاقات الاجتماعية و الأسرية التي تستمد معظم أصولها من الشرائع

(١) د/ أشرف جابر سيد موسى، دروس في مبادئ القانون، بدون ناشر، ٢٠٠٧م، ص ١٠.

(٢) د/ أحمد السعيد الزقرد، المدخل للعلوم القانونية- الكتاب الأول- نظرية القانون، بدون ناشر، ٢٠٠١، ص ١٠.

السماوية، والتي تتأثر بطبيعة الحياة الحديثة وأنماط السلوك البشري المتغير () .

والتعريف الأخير شامل ويوضح الخصائص الجوهرية للقانون وهي كونه ينظم سلوكيات الأفراد، ويتميز بالعمومية والتجريد وصف للسلطة العامة على الأفراد، وهذا هو المعنى العام والواسع للقانون. وهناك معان أضيق نطاقا تنظم أنواع معينة من العلاقات مثل العلاقات المدنية فيسمى القانون المدني وغيرها، مما يبرز بذلك أنواع القانون.

(¹) د مهدي محمد القصاص، محاضرات في علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، بدون ناشر، ٢٠٠٧، ص ٢٦.

المطلب الثالث

مفهوم الحضارة

لكي نستطيع أن نعطي مفهوما واضحا عن أخلاق القانون في الحضارة الفرعونية، كان يجب أن نفهم أولا مدلول عبارة " " وذلك كما يلي:

بداية فإنه من الصعب أن نضع تعريف معينا لكلمة " " (culture)، وذلك لتعدد معانيها التي تختلف من شخص لآخر، فلها معان نية وغير فنية.

فقد يبني مفهوم الحضارة على معايير لا تقتصر على ما هو موجود وإنما تشمل على ما هو مرغوب، وعلى ذلك نجد مفهوم الحضارة عبارة عن شيء أو مجموعة أشياء تخص الإنسان ككائن حي ويضطر لإنجاز معيشتة ويناضل من أجل الخير والإنسانية).

ونرى علماء الاجتماع يعرفون الحضارة بأنها " المجتمع ونظامه، وما له من عقيدة ودين، ويتميز بوجود فلسفة خلقية توحد أنماط السلوك المختلفة، وتمكن الناس من القيام بعمل جماعي من خلال مؤسساته الاجتماعية" ().

وقد اعتبر ابن خلدون الحضارة بأنها نظاما موحدًا يبدأ من صورته الأكثر قل تطورا إلى شكله الأكثر تعقيدا والأكثر غنى، فالحضارة

مختلفة من التبلور والتعقيد ترتبط أساسا مع تطور السلطة والدولة) (.

(¹) د فاروق محمد على، مفهوم الحضارة، مجلة العرب والمستقبل - مركز دراسات وبحوث الوطن العربي - جامعة المستنصرية العراق، العدد السادس، ٢٠٠٤، ص ٥٨.

(²) د فاروق محمد على، المرجع السابق، ص ٥٨.

(³) د/ عبدالسلام الشداوي، مقاربات الحضارة في العالم العربي، مجلة النهضة - المغرب، العدد ٢، ٢٠١٢، ص ١٧٤.

جاء في الموسوعة السياسية تعريف الحضارة بأنها "رية والاجتماعية والأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم" (١).

ونظر القرآن الكريم إلى الأمة المتحضرة بأنها أمة موحدة، فالتوحيد هو الذي يجعل الشعب متحضرا، فهو مصدر رقي وتقدم الأمم، وعلى ذلك جاء الرسل والأنبياء بتأكيد التوحيد للإله الواحد (٢) "الرّ كتاب آياته حكيم خبير () تعبدواالإله إنني منه نذير وبشير ()" (سورة هود).

وبناء على المفهوم القرآني السابق فإن التوحيد يحقق اطمئنانا نفسيا وتقوى تنعكس على سلوك ورقي الإنسان، وذلك نتيجة الخوف والرجاء اللذين امتلأت بهما نفس الإنسان. ومن جهة أخرى يأتي العمران والعمل، وعندما يغيب ما سبق يحل القلق والاضطراب ويغيب الأمن يرتقي ويتحضر. "الذين

الله ينزل به سلطانا^٣ وماوهم النار^٤ وبنس الظالمين" (٣) ، فإذا نظرنا إلى الحضارة الغربية نجد كمية المعاناة النفسية التي يعانيها أفرادها، وذلك لعدم اعتماد ما سبق قوله، فهذا تصريح للسيدة باربرا زوجة الرئيس الأمريكي السابق بوش الأب عن كيف بات الإنسان الأمريكي اليوم في حال من الخوف المستمر، أو خوف من السطو المسلح عليهم، فمعدل الجريمة في ارتفاع.

دم اعتمادها التوحيد، وذلك لأنها تعتمد على العدل " وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" (هود:) إلا إن الأمراض النفسية قد تنتفشي بين أفرادها فينتشر الانتحار وغيرها من الأمراض المصاحبة للقلق والتفكك القسوة والمادية البحتة (٤).

(١) غازي التوبة، مفهوم الحضارة في القرآن الكريم ومالك بن نبي أ نموذج المقارنة، مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - س ٣٢ - العدد ٣٨٣، ١٩٩٧، ص ٢٧.

(٢) غازي التوبة، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) غازي التوبة، المرجع السابق، ص ٢٩.

وهناك تعريف للحضارة أميل إليه عرفها بأنها " جملة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائها جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه" (١).

ومن هذا التعريف فإن الحضارة تمثل المناخ الذي يوفر للفرد حياة كريمة، تكون فيها حرية الفرد محل اعتبار، وذلك بناء على مبادئ وقيم ترعاها الدولة وتحث عليها، منها قيمة العدالة والمساواة والتكافل والحرية، ويؤدي هذا إلى تقدم ورقي وإشعاع حضاري وامتداد تاريخي عبر الزمن.

والحضارة تتكون من عدة عناصر أهمها (٢):

- _____ وهي سمة أساسية ووسيط لنقل القيم والأفكار من جيل إلى

- الدين وما يلعبه من تحديد للسمات الحضارية للشعوب، فيؤثر على السلوكيات السائدة في المجتمع، حيث يعمل على ترقية سلوكيات التعامل مع الآخرين، ومن شأنه أن يوجد استقراراً وتقدماً لأفراد

- _____ بمعناها الواسع.

وبالنظر إلى أي حضارة سابقة أو معاصرة نجد أن الدورة التاريخية لها تبدأ بالميلاد وتنتهي _____ ويتوسطهم مرحلة _____ بإمكانياته وثماره، أما مرحلة الأفول أو الاضمحلال فتفقد فيها الروح الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة، ويسمى الإنسان في هذه المرحلة

(١) د/ موسى لحرش، البعد الوظيفي في مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة بونة للبحوث والدراسات- الجزائر، ع ٤، ٢٠٠٦، ص ١١٣.

(٢) إن التنظيم الاجتماعي والحضاري يقوم على أساس التوافق والتوازن بين الفرد والمجتمع، ورغم ذلك فالمجتمعات لا تستطيع تحقيق تكامل حضاري مطلق، نظراً لعدم خلو أنظمة المجتمعات من نواقص مثل التخلف الاقتصادي أو بعض الأمراض الاجتماعية، فتستورد المخترعات الخارجية من أجل علاج المشاكل الموجودة.

د/ فاروق محمد علي، مرجع سابق، ص ٦١.

باللامتحضر، حيث إنه فقد حضارته. (مرحلة النهضة)
فتقوم فيها الروح الإنسانية بتنظيم الغرائز وضبطها والتحكم فيها^(١).

المطلب الرابع

أخلاق القانون في الحياة الإنسانية المعاصرة

في المجتمعات المعاصرة إلى تزايد العلاقات الاجتماعية وتعتها، ووجب على القانون أن يلاحق هذا التطور دون أن يغيب عنه البعد الأخلاقي للمجتمع، وعلى ذلك نشأ فرع حديث من فروع الدراسات القانونية " الذي يدرس القانون كنظام اجتماعي قائم ل، حيث يصف ويفسر الظواهر الاجتماعية بصورة موضوعية حتى نصل إلى فهم الحياة الاجتماعية بما فيها من سلوكيات، وتحديد النافع والضار^(٢). وتوالى الاهتمام بدراسة القانون من علوم أخرى مثل علم السياسة، وعلم النفس القانوني، وفلسفة القانون، وعلم الاقتصاد السياسي والقائد هذه الفروع تدرس القانون ولكن من الجانب الذي تهمة فقط.

(١) مع العلم أن حضارة الأمة ليست ناتجة عن ثقافة كل أفراد هذه الأمة، وإنما هي أشبه بذلك الضوء الذي قد ملأ فراغ الحجرة والذي له مصدر أو مصادر متعددة، وهذه المصادر هي التي تنبعث منها الحضارة، المصادر المثقفة، وعليه فإن الحضارة وليدة الثقافة، فكل تغيير في مظهر الحضارة لابد أن يكون قد سبقه تغيير في مظهر الثقافة، ورغم ذلك فقد يكون لدى شعب ما أفراد مثقفون وفلاسفة وأدباء، إلا أن الشعب الذي يعيشون فيه ليس مؤهلاً لتلقي هذه الثقافة وتحويلها إلى حضارة، فتظل هذه الثقافة كامنة في أمهات الكتب حتى يكتشفها أهلها ويبنون عليها حضارة.

د/ عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، أساس الحضارة الإسلامية الحديثة، صحيفة دار العلوم - مصر، الإصدار الثاني - س ٤ ع ٢، ١٩٣٦.

(٢) وذهب علماء اجتماع آخرون إلى نظرة نقدية أبعد من النظرة السابقة، فهم لا يبحثون عن مجرد وصف وفهم وتفسير الحياة الاجتماعية، إنهم يعتمدون على النقد أثناء استنباط طبيعة الكائنات البشرية وسلوكها، فهم يعتبرون أن مهمة علم الاجتماع هو رصد معاناه الإنسان.

د/ مهدي محمد القصاص، مرجع سابق، ص ٣١.

هذا هو الدور البارز للقانون في جميع مجالات الحياة المعاصرة، ومن هنا ظهرت أهمية دراسة القانون في حياتنا.

إن الجانب الأخلاقي هو الأساس لكل عمل قانوني، بالإضافة إلى أن المجتمعات الحديثة قررت وظيفة أخلاقية للقانون متمثلة في تقرير سلوكيات قائمة وجيدة، أو تنظيمها، أو بحظر بعض السلوكيات السلبية التي قد تظهر

وعلى ذلك فإن القانون من شأنه أن يحدث تغييرا وتوجيها في أخلاقيات الأفراد، وبالتالي المجتمع، فهو الذي يضع الحدود الأخلاقية التي يجب على الأفراد اتباعها ويقرر الحقوق والواجبات.

ورغم ذلك فإن القانون قد يهدف إلى تحقيق غايات أكثر شمولاً من الأخلاق، فمفهوم العدل يقتضي تقييد استعمال الشخص لحقه إذا اصطدم بحقوق الآخرين^(١)، أو أن القانون يتضمن بعض المبادئ الأخلاقية مثل "

شريعة المتعاقدين" "حسن النية" "لا يجوز للشخص أن يسطع دليلاً لنفسه". وكل هذه المبادئ الأخلاقية قد يتم تحويلها حتى لا تضر الآخرين، وعليه فيجوز العدول عن تنفيذ الالتزام عينا إذا كان مرهقا للمدين، وكذلك نظرة الميسرة المعطاة للمدين المعسر^(٢).

وهناك أحوال أخرى قد يخرج فيها القانون عن مفاهيم العدالة، وذلك تحقيقاً لاستقرار المجتمع وحماية للتعاملات، مثل تقرير التقادم بنوعيه، أو الوفاء للدائن الظاهر، أو ملكية المنقول بناء على حيازة حسن النية، وغيرها.

(١) مثل قاعدة عدم جواز التعسف في استعمال الحق.

وقد ذهب البعض إلى أن القانون الوضعي يقوم على موقف محدد متميز عن الأخلاق، حيث أن القانون تتدخل الدولة لإلزام الأفراد به بينما الأخلاق لا يحميها القانون بل يحميها ضمير الفرد.

راجع د/ جمال الدين عطية، بين القانون والأخلاق، مجلة المسلم المعاصر - مصر، ع ٨ سنة ١٩٧٦، ص ٥.

وأعتقد رغم ذلك أن القانون، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، أصبح لا ينفصل عن الأخلاق بل هو تقرير لما استقر في المجتمع من أخلاق، وأما الدول الأخذة بغير الدين كمييار للقانون، فإنه من الممكن أن ينطبق عليها التفرقة بين القانون والأخلاق.

(٢) د/ سهير منتصر، القانون والأخلاق، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى العربي الأول "أخلاقيات الإدارة والأعمال من أجل مستقبل أفضل"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية - مصر - ٢٠٠٦، ص ١٣١.

وفي ذلك نظرة أكثر شمولاً واتساعاً رغبة في تحقيق أهداف سياسية واقتصادية، وذلك على سبيل الاستثناء فقط وفي أضيق الحدود، فالقانون لا يغيب عنه مطلقاً الجانب الأخلاقي الموجود في المجتمع المنبني على عقيدته الدينية والاجتماعية، والتي قد تختلف من مجتمع إلى آخر.

هذه هي نظرة سريعة عن أخلاق القانون في وقتنا الحاضر، وما اعتمدته حضارتنا الحديثة، وقصدنا إلى إلقاء النظر حول ذلك حتى نستطيع أن نقارن بينه وبين ما قررته الحضارة الفرعونية منذ آلاف السنين.

المبحث الثاني

قيم العدالة والحرية الشخصية في الحضارة الفرعونية

تعد الأخلاق من أهم القيم الاجتماعية في أي المجتمع، ويظهر أثرها على القانون فيطبعه بطابعها، فهو يقرر مبادئ أخلاقية موجودة ومستقرة في المجتمع، أو يستحدث مبادئ غابت قليلا عنه، وعليه تظهر الحقوق والواجبات اللزوم اتباعها والموافقة لأخلاق المجتمع.

وتعد قيمة العدالة ذات أهمية بالغة، والتي ينبنى عليها قيم أخلاقية كثيرة مثل الحرية الشخصية- ومكانتها- حق اللجوء إلى القضاء وغيرها.

إن لقيم الأخلاق أهمية كبيرة في معرفة مدى توافر القيم والأخرى ودرجتها، ويمكن القول بأن الأخلاق شيء مكتسب وليست غريزة فطرية، فالبيئة المحيطة بالأفراد تغرس فيهم أنماط التعليم والقيم المختلفة، قال رسول الله صلى الله عليه " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه" () " عليها لا تبادل الله ذلك الدين القيم لا يعلمون" (") فكما ذكرنا إن الأخلاق تختلف من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر.

وقد تحدثنا في المبحث الأول عن ما وصلت إليه الإنسانية الآن من أخلاق وقيم وعلاقتها بالقانون، وذلك حتى نستطيع بيان رقي الحضارة الفرعونية وما وصلت إليه قبل أكثر من أربعة آلاف سنة.

وعليه نقسم هذا الم :

: قيمة العدالة والمساواة في مصر الفرعونية.

: الشخصية القانونية : قيام

(¹) الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، المحقق أبو قتيبة نظر بن محمد الفارابي ، صحيح مسلم، دار طيبة للنشر، ١٤٢٧-٢٠٠٦ ، كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ص ١٢٢٦ .

: حقوق المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع.

: حق التقاضي وترتيب المحاكم.

المطلب الأول

قيمة العدالة والمساواة في مصر الفرعونية

سبق وأن تحدثنا عن عناصر الحضارة الثلاثة وهي اللغة والدين والأخلاق، ووجب الإشارة إلى مدى توافرها في الحضارة الفرعونية، وذلك كما يلي:

- _____: نوكد في البداية أن اللغة الهيروغليفية كانت لغة أدب وعلم وفلسفة، وصفت العاطفة والخيال والشنون اليومية العادية، ولغة ذات أدب ديني ودنيوي حتى اشتهر الأدب الفرعوني، ولننظر إلى نوع الخيال الشعري الذي تركه لنا أحد قدماء المصريين حيث يقول "ها هي ذي محبوبتي بعيدة عني، بيني وبينها نهر، والتمساح هناك منبسطة على رمال الشط، فعندما أعبّر النهر إليها أجدني أمشي على"^(١).

- العنصر الديني: تمتع القدماء المصريون، حكاما ومحكومين، بوازع ديني كبير، وهناك أمثلة كثيرة ستذكر لاحقا، ويمثل هذا الوازع الديني مفتاح الحضارة المصرية القديمة ورقبها، وكان يتمثل في تمسك المصريين بالقيم والأخلاق والدين، ورغم ذلك فهناك عصور ظلمات مصر الفرعونية كان من أهم أسبابها بعد الحكام عن العدالة والدين، مثال ذلك ما حدث في الفترة ما بعد الأسرة السادسة إلى أوائل ظهور الأسرة الحادية عشر، حيث انتشرت فيها الفوضى والتقسيم والإقطاع، حيث كان الحكام غير مصريين أتوا طمعا في خيرات مصر.^(٢)

- _____: إن الضمير الأخلاقي عند قدماء المصريين قوة اجتماعية لها أثر عظيم على جميع أفراد المجتمع بما فيهم

(١) د/ عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) أحمد حسين، مرجع سابق، ص ٦٧.

الملوك والحكام، فلا يعد سلوك المصري القديم جيدا إلا إذا رضي عنه أبواه وإخوته.

فهذه قبور الملوك والأمراء مليئة بالعبارات التي تدل على الأخلاق مثل "توجد بنت مواطن عبثت بها، ولا أرملة عذبتها، ولا فلاح طردته، ولا راع أقصيته، ولا يوجد بانس بين عشيرتي، ولا جاع في زمني"^(١)، وغيرها الكثير كما سنرى لاحقا.

وعليه فقد توافرت عناصر الحضارة عند المصريين القدماء، فقامت حضارة يحكي عنها القاصي والداني، ذات قيم أخلاقية ومبادئ إنسانية شملت كافة نواحي الحياة، وطبعت طابعها على القوانين المعمول بها، بحيث أصبح للمصري القديم حقوق لا يجوز الاعتداء عليها مثل حرية التعاقد والتملك وغيرها، وكان من أبرزها العدل والمساواة الذي نناقشه الآن:

-عليهاالسلام-وحتى عصرنا هذا أدرك الإنسان قيمة العدل وأثره العظيم على المجتمع، وأنه عنوان سعادته وتقدمه ورفقيه، وإذا أدرك الحكام هذا المعنى قامت حضارة عظيمة تحارب الفساد وتساهي بين الناس وتحفظ الحقوق والحريات ويشاع الأمن والاستقرار، وكل هذا كفيل بقيام حضارة إنسانية عظيمة. وإذا لم يدرك الحكام ذلك زاد الفساد وتفشت الأمراض الاجتماعية والخلفية، مما يزيد الضغط على الشعوب ويؤدي إلى ثورات وانقلابات على الظالمين.

هذا هو حال الحضارة الفرعونية، فهي تمر بمراحل مختلفة كلما زاد وعي الحكام بقيمة العدل والمساواة نجد تقدما ورفقيا، وإذا أهمل العدل نجد إقطاعا يسيطر ثم يعقبه انقلاب ينادي بالمساواة.

فالنابلس الإلهي قائم على العدل، فهو صفة من صفات المولى جل وعلا وميزانه في الأرض، فإذا لم يحم العدل أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين،

(١) مقبرة أمير مقاطعة بني حسن ويسمى "أميني".

راجع د/ محمد محسوب، العدالة وأثرها في الشرائع القديمة، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية- حقوق المنوفية، مجلد رقم ١٣، في ١/٤/٢٠٠٤ م.

"لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"^ط
" (سورة الحديد ") .

وبالرجوع إلى العصر الفرعوني نجد أن فكرة العدالة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الدينية، فنجد إله العدالة " maat ابنة إله الكون " حيث إنها تجسد العدالة في الأرض حتى أصبحت وظيفتها هي الرقابة على تصرفات الملوك، بحيث إذا رغب الملك في الحصول على الخلود الأخرى لابد من أن تنطبق تصرفاته مع العدالة والمساواة، وعلى ذلك خرجت القوانين معبرة عن العدالة وراعية لها، وأصبحت لا تقتصر على الرعية فقط بل هي ملزمة للحاكم ذاته. وهناك أمثلة عديدة ألغى فيها بعض الملوك مراسيم قانونية قد أصدرها لأنها مخالفة للعدالة والمساواة،

بيرين إلى أن " الفكرة الأخلاقية التي شكلت جوهر سلطة الحاكم في مصر هي العدالة والمساواة مرموزاً بها بمعات، فالعدالة حقيقة سامية مستقرة في لمصريين القدماء بما فيهم الحكام، فالملك يبدأ حكمه بقوله " يرغب فيه الإله هو أعمال العدالة" ورغم أن القانون يصدر عن الملك فهو لا يصدر عن هوى ورعونة بل يجب أن يعبر عن العدالة، " قل العدالة لأنها قادرة إنها عظيمة وسرمدية" . () .

والمستقر عليه بين علماء تاريخ القانون أن القانون الفرعوني كان قانوناً متكاملًا تميز بالتطور والرقى، ومن أمثلة ذلك ما قام به الملك مينا، بعد توحيد القطرين، بتوحيد وتجميع القوانين المصرية، وأبعد منها ما يمكن أن يكون ظالماً، وأصبحت سارية على جميع القطر المصري () .

فمصر بالفعل هي أول م
أحد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين موجهة لأحد وزرائه قال فيها"
على القانون وأحرص على أن يتم كل شيء طبقاً للقانون حتى يصل كل شخص إلى حقه"، وفي رسالة أخرى من الملك خيتي الرابع)
(إلى ابنه ولي العهد قال له فيها" هدى من روع الباكي، لا

(١) د/ محمد محسوب، المرجع السابق، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩ . د/ وسيم السيسي، نعيش زمن الغيبوية، حوار بجريدة الوفد

دالمصرية، الخميس ١١/٧/٢٠١٣ .

تجرد أحدا مما يملك، لا تطرد موظفا من عمله دون وجه حق، لا ترفع ابن العظيم على ابن المتواضع بل قرب إليك الإنسان حسب كفاءته" (١).

وهناك نصوص كثيرة تسجل لنا إنسانية دستور الحكام والمبادئ والأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلوا بها حتى ينالوا رضوان الإله، وبالتالي تفتشت الأخلاق والضمير في المجتمع المصري، مما زاد من رقي الحضارة الفرعونية، ونسوق للتدليل على ذلك بعض الأمثلة:

- (جبل الحية القرناء) يقول عن نفسه "

الخبز لكل جائع، وكسوت من كان عاريا، ما مني بسبب ذلك للإله مدينتي، لم يوجد شخص يستولي عليه الخوف بسبب شخص أقوى منه للإله، لقد كنت صانع معروف، إنني لا أنطق بأكذوبة، لأنني كنت شخصا يحبه أبوه وتثني عليه أمه، فائق الخصال نحو أخيه ومحبوبا لدى أخته" (٢).

- قصة الفلاح الفصيح التي تدور حول اغتصاب موظف كبير لحمير بانس، فرفع الأخير شكوى مكتوبة إلى الملك، وأعجب الملك بأسلوب الشكوى وفصاحة هذا الفلاح، واستمر في إرسال الشكوى تلو الأخرى حتى بلغت ثمانية، جاء فيها " أقم العدل أنت يا من مدحت ارفع عني جب إلى الصيحة التي ينطق بها فمي وحطم الظلم ورسخ الحق فإنه إرادة الإله، أما الظلم

(١) وهذا يدل على المساواة والعدل، وذلك بخلاف قوانين الحضارات الأخرى مثل قانون حمورابي الذي اختلفت أحكامه طبقاً للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليه الفرد.
د/ وسيم السيسي، المرجع السابق .

وقد أشار هيروودوت وديودر الصقلي وغيرهم من المؤرخين أن قانون صولون الإغريقي الصادر عام ٥٩٤ ق م قد اقتبس معظم أحكامه من قانون بوكخوريس، وكذلك قانون الألواح الاثني عشر الروماني.

د/ سمير عبدالمنعم أبوالعنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديم، دار النهضة العربية، ٢٠٠٣م، ص ٧١.

(٢) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب للنشر - القاهرة، ١٩٨٠، ص ١١.

فهو منفي من الأرض....."، وانتهت الشكوى بمعاقبة الموظف ونقل ملكية الضيعة إلى الفلاح وإعادة حميره إليه (١).

- وهذه وصية خيتي الثالث لابنه يقول فيها " قوة المرء في لسانه، وإن الحديث الطيب أقوى من الحرب والقتال، اعمل على إقامة الحق طول عمرك، وخذ بيد الحزين والبانس ولا تظلم أرملة ولا تقتل فالقتل لا يفيد، لا تنظر إلى الرجل العظيم على حساب الفقير بل عامل كلا على حسب أعماله وكفاءته، وأعبد الله وعظمه إن الله يتقبل أعمال الصالحين" (٢).

- يرا قصة مؤامرة إحدى حريم الملك لقتل رمسيس بريدية شهيرة باسم "مؤامرة الحريم" تشير إلى قيام الملكة " تيا" الزوجة الثانية لرمسيس الثالث بتزعم مؤامرة لتنصيب ابنها " ملكا على مصر بدلا من رمسيس الرابع الوريث الشرعي متأمرين بالقتل وترك عشرة أشخاص لقتل أنفسهم ومنهم " " وواحد وعشرون آخرين تم شنقهم.وهي تمثل تمسك الملوك بضرورة تحقيق العدالة

قال رمسيس الثالث للقضاة المختصين بالتحقيق في هذه المؤامرة (٣) " بخصوص الكلام الذي يدور على ألسنة الناس فلا علم لي به، فاذهبوا وافحصوا الأمر، فإذا حققتم وتبينتم المتهمين فأمرهم أن

(١) هذه هي البريدية الأولى للفلاح الفصيح حيث أرسل بعدها عدة برديات تمثل الفصاحة من جهة وما عليه حال المظالم في هذا العصر من جهة أخرى، حيث أنه كان لا يخشى أحد من الرعية في إرسال شكواه إلى الحاكم الذي كان يلتزم برفع الظلم ورد الحق لأصحابه.

راجع للمزيد موقع الموسوعة الحرة " ويكيبيديا" على الإنترنت، تاريخ الاطلاع ٢٠١٥/١٢/١:

الفلاح الفصيح: www.ar.wikipedia.org/wiki

(٢) أحمد حسين، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٣) د/ زاهي حواس، كلمة ألقاها بمناسبة اكتشاف حقيقة مومياء رمسيس الثالث وظروف وفاته، موقع العربية نت على الإنترنت الرجوع للموقع بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٢.

www.alarabiya.net/articles/2012/12/17/250601.html

ينتحروا بأيديهم بدون إخطاري ووقعوا العقاب على من يستحق بدون استشارتي أيضا، احترسوا من عقاب البريء" (١).

وقد كان يستطيع الملك رمسيس الثالث في الواقعة الأخيرة أن يأمر بقتل جميع المتآمرين دون محاكمة، وقد لا يلومه أحد، ولكنه أصر على إجراء محاكمة عادلة، وذلك نابع من يقينه بضرورة الحكم بالعدل وليس بالهوى.

هذه هي بعض الأمثلة القليلة على ما اتبعه الملوك والحكام من عدل ومساواة بين أفراد المجتمع، وظهر أثره على تقدمهم ورفيهم الملحوظ والذي لم يله مثل في باقي الحضارات القديمة آنذاك.

أما عن القوانين الفرعونية فالمتابع لحقب العصر الفرعوني يجد قوانين راقية وعادلة كان أهمها قانون بوكخوريس الذي أصدره الملك بوكخوريس الذي يعد من أعظم مشرعي مصر الفرعونية (٢)، ويعد هذا القانون تجميعا لكل القوانين السابقة التي سادت قبل مجيئه، بعد أن نقح ما بها من غلو وفساد وعدم مساواة، وأصبح هذا القانون سائدا حتى نهاية عهد الأسرات (٣) واحتوى هذا القانون على مبادئ العدل والمساواة.

وقد جاء في رواية يونانية، صحيحة، أن بوكخوريس كان عادلا مجتهدا في تنقيح القوانين ساهرا على الحق بكل قواه، وليس بين أيدينا حتى الآن نصوص هذا القانون، ولكن نستشف من الوثائق الأخرى المكتشفة وأحوال

(١) أحمد حسين، المرجع السابق، ص ١٤١.

(٢) هو مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين، جاء في ظل تفشي الفوضى والإقطاع وعدم العدالة، فأصدر قانون بوكخوريس من أجل توحيد القوانين في البلاد (كما فعل مينا من قبل) ومحاربة الفساد والانحلال وترسيخ لمبادئ العدالة والمساواة.

راجع د/ سمير عبدالمنعم أبوالعنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديم - الجزء الثاني، دار النهضة العربية، ٢٠٠٣م، ص ٦٩.

(٣) وساد هذا القانون أيضاً بعد عهد الأسرات وأيام الحكم البطلمي والعصر الروماني، ولم يلغى إلا في عام ٢١٢ م حينما منحت مصر الجنسية الرومانية وأصبحت القوانين الرومانية هي الواجبة التطبيق، باعتبار مصر في ذلك الوقت تابعة للإمبراطورية الرومانية. المرجع السابق، ص ٧٠.

المجتمع في تلك الفترة روح هذا القانون، كان قد تفشى الفساد والتقسيم
" أو بوكخوريس وجمع العادات والتقاليد "
أحكام أخرى وأصدر هذه المدونة، فحصلت المرأة على
المساواة مع الرجل، الذي كان موجودا سابقا ولكن تم تأكيده واعتماده بعد
فترات الإقطاع، وغيرها من الأحكام التي سنناقشها لاحقا^(١).

- مدونة أمازييس: خلف لنا عهد أمازييس آثارا قانونية خالدة جعلت من
(١)، فقد أنهى على

الإقطاع الذي كان ساندا وما لزمه من ظلم وفساد، مما أدى إلى عودة
روح العدالة والمساواة بين جميع طوائف المجتمع، وذهب البعض
إلى أن هذه المجموعة القانونية لا تعدوا إلا أن تكون تقريرا لما جاء
في مدونة بوكخوريس مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها،
فهذه المدونة أحكاما عامة مثل " من الظلم المحض أن يشارك الجنين
البريء أمه المذنب في العقاب، وأن يقتص من اثنين لوزر واحد،
فمن غير المفهوم أن يقضى بالموت على الجنين وهو ملك مشاع بين
الأب والأم في حين أن الوزر منسوب إلى المرأة الحبلى وحدها"^(٢).

هذه هي بعض من الأمثلة التي تدل على تفشي قيمة العدل والمساواة، فهذه
الحضارة الفرعونية التي عرفت العدل حتى مع الجنين في بطن أمه، فلم تقض
بالعقوبة على المرأة الحامل حتى تضع حملها، وفي هذا قمة الإنسانية

(١) عرفت مصر الفرعونية عدة تقنينات غير بوكخوريس بلغ المكتشف منها حتى الآن
سنة، كان أولها ما أصدره الملك مينا موحد القطرين، ثم توالى إصدار القوانين مثل مدونة
مانو وقانون حور محب وأمازييس وغيرها، وأخرها مدونة دارا الملك الفارسي المحتل.
د/ صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مركز التعليم المفتوح
جامعة القاهرة - ٢٠٠٨، ص ١٣١.

(٢) يعتبر من الحكام المنتمين إلى الشعب حيث لم يكن له أصول ملكية، وهو من أعظم
مشرعي مصر الفرعونية تولى الحكم سنة ٥٦٨ ق م.

د/ سمير عبدالمنعم عبد الخالق أبو العنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم
القديمة، مرجع سابق، ص ٦١.

(٣) نقلًا عن د/ محمد محسوب، المرجع السابق، ص ٢٥١.

والعدالة، ما جعل هذه الحضارة راقية مؤثرة في كل الحضارات القديمة وعليه الإغريق والرومان وبابل أمثال صولون وحمورابي بهذه المدونات القانونية ونقلوا عنها بعض الأحكام مثل قاعدة " عدم جواز التنفيذ على جسم المدين مع اعتبار ذمته المالية هي الضمان الأساسي للدين" (١) .

(١) قبل إصدار قانون الألواح الاثني في روما، أو دراكون وصولون في أثينا، أو حمورابي في بابل، لم يثبت وجود مساواة بين الشعب والحكام في أي من هذه الحضارات، بل كان هناك تمييز طبقي لأفراد الشعب واحتكار العلم بالقانون على أفراد معينين (روما وأثينا)، واختلفت القوانين المطبقة طبقاً للطبقة التي ينتمي إليها الشخص (خاصة في بابل)، فجاءت هذه القوانين الأخيرة في محاولة لوضع عدالة اجتماعية، إلا أنها لم تكن شاملة كما في القوانين المصرية الفرعونية.

فهذا قانون حمورابي رغم أنه أهتم بالإصلاح الاجتماعي وحماية الضعيف وضمان حريات الأفراد، فهي أحكام تدل على العدالة مقارنة بالمدونات القانونية التي صدرت في بلاد الغرب، ورغم ذلك فقد تميزت بالقسوة في العقوبة ووضع الفوارق بين الطبقات، حيث قسم المجتمع إلى أربع طبقات وهي طبقة الأحرار ولهم جميع الحقوق بل والاشتراك في إدارة شؤون البلاد، وطبقة الكهنة ولهم نفس حقوق طبقة الأحرار بالإضافة إلى الصفة الدينية، و طبقة عامة وهم العمال والصناع والمزارعين والمعتوقين من الرق وحقوقهم أقل من الطبقتين الأولين، وطبقة العبيد وكانت لهم بعض الحقوق القليلة مثل تكوين الأسرة والتملك (بشروط) وحق الاعتراض إذا أراد سيده بيعه لرجل==ذو قسوة، وبناءً على هذا التقسيم كانت الحقوق والواجبات تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمي إليها الشخص وبذلك يختلف العقاب على الشخص طبقاً لطبقته.

وهذه الحقوق هي التي تميز بها قانون حمورابي عن القوانين الغربية التي حوت على تمييز عنصري وطبقي بين أفراد المجتمع الواحد، بالإضافة إلى إهدار واضح لحقوق المرأة، وسنشير إلى ذلك لاحقاً.

هذا هو مثال على عدم قيام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد داخل شرائع وحضارات يتشدد البعض برقيها وتقدمها، وهذا بخلاف الحضارة الفرعونية التي كانت تطبق العدل والمساواة، كما رأينا، دون تفرقة، إلا إذا بعدت الأخلاق والمدنية عن الحكم، وهي

هذه نظرة على قيمة العدل والمساواة في الحضارة الفرعونية، رغم أننا لم نستطع وصفها وصفا كافيا لما وصلت إليه من رقي وسمو، يقف أمامها المنصف متسائلا ما هو السر وراء هذا النتاج الأخلاقي والمساواة والعدل؟ وستظهر الإجابة عن ذلك جليا حتى نهاية البحث.

فترات الإقطاع أو الاحتلال الأجنبي للبلاد، وفي غير تلك الفترات فالعدل والمساواة قائم دون تفرقة طبقية كما سنرى.

ورغم ذلك فقد ذهب البعض إلى القول بأن المجتمع المصري القديم، في جميع فتراته، قد عرف التقسيم الطبقي إلى ثلاث فئات هي: الطبقة الحاكمة والمقربون منها (الأرستقراطية)، ثم طبقة وسطى تشمل صغار الموظفين والتجار، ثم طبقة أدنى تشمل الفلاحين والعمال، إلا أن هذا التقسيم لم نلاحظه في أحكام القانون، فلم يفرق الأخير في المعاملة بين أي من الطبقات الثلاثة، في غير فترات الإقطاع، فالكل متساو أمام القانون، وسنضرب أمثلة على ذلك لاحقاً، ومن الممكن أن يكون هذا التقسيم موجوداً من الناحية الاقتصادية فقط (المستوى الاقتصادي) دون أن يكون هناك تمييز لطبقة عن أخرى أمام القانون، فيجوز لأي شخص أن يترقى إلى الطبقة الأعلى بمجهوده وعمله، فهناك أفراد كانوا ينتمون إلى أسر متوسطة أو فقيرة تدرجوا حتى وصلوا إلى أعلى المناصب، مثل أمازيس الذي أصبح ملكاً وهو من أسرة ليست ملكية.

بل إن المجتمعات الآن تقسم المجتمع إلى الطبقة الغنية والمتوسطة والعاملة، وذلك حسب المستوى الاقتصادي للفرد.

راجع أولاً للمزيد عن الشرائع السابقة د/ صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص ١٢٩ وما بعدها.

د/ سمير عبد المنعم عبدالخالق أبو العنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديمة، مرجع سابق، ص ١٠٧ وما بعدها.

راجع حول التقسيم الطبقي للمجتمع المصري الفرعوني د/ محمد محسوب، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

المطلب الثاني

الشخصية القانونية للأفراد ومدى قيام الرق

إن الشخصية القانونية ترتبط في الأساس بالحقوق واجبة الرعاية ثم بمن تنسب إليه هذه الحقوق، فالشخص في نظر القانون المعاصر هو من يتمتع بالشخصية القانونية، مما يعني صلاحيته للتمتع بالحقوق والتحمل بالالتزامات، هذه هي الشخصية القانونية وفقاً للمفهوم القانوني المعاصر^(١).

وفي العصور القديمة، خلاف العصر الفرعوني، كانت الشخصية القانونية تثبت للإنسان وحده الحر وليس العبد، مما يعني ارتباط الشخصية القانونية بنظام الرق، فالقاعدة الأساسية هي ربط الشخصية وجوداً وعدمها بحريتها، خاصة الإغريق والرومان، فليس للعبيد حقوق أو حرية، وبالتالي يعتبرون أموالاً لا يرد عليهم كافة التصرفات القانونية، بيعاً وشراءً لمصلحة مالكيهم من^(٢).

أما الحضارة الفرعونية فكان العدل أساساً لوجودها ورقبها، فقد رأينا سابقاً قيمة العدالة والمساواة التي تمتع بها المصريون الق تطبيقها والعمل على رعايتها، وعلى ذلك فقد ثبتت الشخصية القانونية الكاملة للمصري القديم وفقاً لما سبق وما سنناقشه الآن.

هل عرفت الحضارة الفرعونية نظام الرقيق مثل باقي الحضارات القديمة؟

(١) د/ أحمد السعيد الزقرد، المخل للعلوم القانونية- النظرية العامة للحق، مطبوعات كلية الحقوق جامعة المنصورة، ٢٠٠٥، ص ١٠٣.

(٢) أما في بعض المجتمعات الشرقية القديمة، مثل بلاد ما بين النهرين، فقد كان نظام الرق معروفاً لديهم، إلا أنها أثبتت للرقيق بعض الحقوق مثل حقه في التملك وتكوين الأسرة وأن يعتق إذا قدم لسيده ثمن معين، كما رأينا سابقاً، وهذا على خلاف الإغريق والرومان.

=راجع للمزيد د/ سمير عبدالمنعم عبدالخالق أبو العينين، مفهوم الشخصية القانونية في نظم قوانين العصور القديمة، بدون ناشر، ١٩٩٣، ص ٨.

في البداية ووفقا لما ناقشناه سابقا وما سيأتي ذكره لاحقا، فإن هذه الحضارة لا يمكن أن تكون قد عرفت نظام الرق، في غير عصور الإقطاع والتدهور خاصة الوسطى والحديثة، فالمصري يولد حرا ويموت حرا، سواء أكان من العمال أو الفلاحين.

فهذه الوثائق المكتشفة والخاصة بإحصاء الذهب والحقول في مصر لم يرد فيها ما يشير إلى وجود الرقيق، أما ما تم اكتشافه من برديات تحوي على وقائع تثبت الشخصية القانونية الكاملة للمصري، مثل توقيع أحد العمال على وثيقة باعتباره شاهدا، فكيف يكون عبدا وشهادته معتبرة، وثبوت عقد المزارعة بين الفلاح والمزارع الملكية أو أراضي المعابد أو كبار الملاك ووجود عقد العمل الموقع من العامل والذي يثبت فيه عدد ساعات العمل ومدة العقد، وما ثبت من نقوش على المقابر من تفاخر الميت بأنه لم يبخر حق ()

وقد ذهب البعض وبحق إلى أنه حتى في عصر الإقطاع، وبرغم انقسام المجتمع المصري إلى طبقتين هما الأشراف - مال والفلاحين، ورغم أن أفراد هذه الطبقة الأخيرة يرتبطون برابطة تبعية للإقطاعي، إلا أنهم لم يكونوا ()

أما أصحاب الرأي القائل بوجود الرقيق، فإنه لم تسانداهم الأدلة في قولهم، بل إن ما ساقوه من أدلة يعد في حد ذاته دليلا على عدم وجود الرق.

- كروا أن الرقيق في مصر لهم مركز قانوني وحالة مدنية، فلكل عبد اسم مسجل في مكاتب توثيق الأفراد مثل الأحرار تماما، وله أهلية قانونية كاملة؛ فله أن يبيع ويشترى البضائع، وله تملك العقارات والتصرف فيها وغيرها، وهو طرف في الخصومة؛ فقد

(١) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٢) د/ السيد عبدالحميد علي فودة، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

يكون شاهداً، وله أن يتقلد الوظائف العامة ويترقى دون تمييز، وله أن يتزوج زواجا شرعيا وينسب إليه الأولاد^(١).

أليس كل ما سبق دليلاً على عدم وجود الرق، فأى رقيق يتمتع بكل هذه الحقوق التي لا تختلف عن الأشخاص غير الأرقاء، ومن الممكن أن تكون ترجمة الوثائق المثبتة لأصحاب هذا الرأي قد تمت بطريقة خاطئة، فالعقل يأبى أن يكون شخص له كل هذه الحقوق من الرقيق.

- وذهب رأي آخر إلى أن نظام الرق كان ينطبق على الأسرى فقط، وهذا يتنافى مع العدالة المقررة، بل إن هؤلاء الأسرى كانوا يدخلون في حوزة الدولة كعمال فقط، قد يعملون بالسخرة في خدمة أنهم كانوا أحراراً تحت مسمى أسرى حرب وليسوا عبيداً^(٢).

- استند أصحاب الرأي المؤيد لوجود الرقيق على عدة وثائق كتب في أحدها "الأب يهب بموجب عقد مكتوب عماله إلى ابنه"^(٣).

وقد يفهم من ذلك أن الأب صاحب أرض أو خلافه وبها عمال، فإنه يهب الأرض بعمالها إلى ابنه، حتى أنه لم يذكر الأب في هذه الوثيقة أنه يهب عبيداً بل ذكر عمالاً، وهذا دليل على عدم وجود الرقيق.

- أما الوثيقة الأخرى فترجع إلى عهد الملك "سنيفرو" الرابعة جاء فيها أن " "، وهو موظف قد خلف لأولاده اثني عشر أرواً من الأراضي المزروعة، ومعها الأنفار والمواشي، واستشهد

(١) د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٢) وفي هذا يقول جاك بيرين "إن أسرى الحرب كانوا يدخلون في حوزة الدولة عمالاً لديها، أو في حوزة أشخاص تابعين للدولة، لكنهم لم يكونوا عبيداً".

المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧٠.

أصحاب هذا الرأي بذلك واستنتجوا أن المزارعين والعمال تابعون للأرض وبالتالي هم أشياء (رقيق) يمكن نقل ملكيتها؟^(١).

وهذا قول مردود، فالاقتصاديون في العصر الحديث أولوا اهتماما بالغا بالعنصر البشري باعتباره رأس مال مثله مثل باقي أنواع رأس المال، التأكيد على أن هذا العنصر البشري له كامل حريته وكرامته التي لا شك في تقريرها، وهذا ما جعل الدول المتقدمة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، تهتم به، مما تلاحظ معه زيادة في الدخل القومي الأمريكي بمعدل أسرع بكثير من معدل زيادة عوامل الإنتاج المادية مجتمعة^(٢).

وعلى ذلك تطور الفكر الاقتصادي والإداري في قضايا التعامل مع الموارد البشرية فأصبح العنصر البشري يحتل مكانة كبيرة باعتباره أصل من أصول المنظمة أو المنشأة، لما له من تأثير جوهري على نماء المنشأة أو^(٣).

وبناء على ذلك فإن الرأي الراجح في النظريات الاقتصادية والمحاسبية هو (أصول بالقوائم المالية)^(٤)، حتى إنهم اعتبروا أن أكثر الممتلكات قيمة هي تلك المستثمرة في الإنسان، وعلى ذلك لا يتم الفصل بين رأس المال البشري كمورد للدخل ورأس المال غير البشري، فتظهر في القوائم المالية المحاسبية العمال كقيمة وأصل من الأصول، وذلك

(١) د/ محمد بدر، المرجع السابق، ص ١١.

(٢) راجع للمزيد د/ أحمد محمد أحمد مندور، اقتصاديات الموارد الطبيعية والبشرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع - مصر، ١٩٩٠، ص ٣٢٦.

(٣) د/ محمد حسين سيد، رسالة دكتوراه بعنوان "أهمية العنصر البشري في تحقيق أهداف الشركات" مقدمة إلى الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ٢٠٠٨، ص ٢٣.

(٤) هناك العديد من القوائم المالية مثل قائمة المركز المالي (الميزانية)، قائمة الدخل، قائمة الأرباح. راجع محمد بشار، فهم القوائم المالية، موقع الإنترنت بتاريخ

بجهودهم فقط وليس بتملكهم باعتبار أن العنصر البشري هو أساس تحقيق الكفاية الإنتاجية لتعظيم الأرباح^(١).

وطبقا للمفهوم الحديث للمحاسبة، فطالما توافر في العنصر البشري معيار التبعية للمنشأة ومعيار تقديم الخدمات ومعيار المقدرة الإنتاجية، فإن ذلك كافٍ لاعتبار العنصر البشري أصلا، وبالتالي يظهر في القوائم المالية مثله مثل باقي الأصول الأخرى، وعليه فإن الشركة أو المنشأة أصبحت مالكة للعنصر البشري ملكية قانونية واقتصادية، أما الملكية القانونية فتتحقق، وفقا للمفهوم المحاسبي الحديث، بتوافر عناصر هي حيازة الأصل) (الرقابة الكاملة عليه، القدرة على التصرف فيه بمحاسبته ونقله وإنهاء

ـ
ـ " " " " " " عبيد"، وعلى ذلك يمكن
وبحق، أن الفراعنة قد عرفوا القوائم المالية المعتمدة على العنصر
البشري والتي عرفها المجتمع الحديث الآن، فقدماء المصريون لم يستخدموا
لفظ عبيد أثناء إحصائهم أو ذكروهم للعمال كما فعلت الحضارة الرومانية،
فسجلات المحاسبة لدى الرومان تظهر ألفظ العبيد صراحة.

لك فمعيار التبعية، الذي اعتمده أصحاب الرأي المؤيد لوجود الرق،
ليس له محل في ظل ما بيناه من اعتماد الفقه الحديث، في المحاسبة
والاقتصاد، لمعيار أو مفهوم العنصر البشري كأصل من الأصول الخاصة
للشركة مثله مثل رأس المال وغيره، ولم ينف أحد عن العامل حريته وكرامته
وحقوقه المقررة في القانون الحديث، وهذا ما أعتده الفكر الفرعوني؛ فقد
قرر حقوقا كثيرة للعمال، ومع ذلك اعتبره أصلا من الأصول كونه قوة دافعة
للاقتصاد الفرعوني في ذلك الوقت، دون الانتقاص من حريته وكرامته.

وهناك وثائق تثبت نفي الرق في مصر، منها وثيقة تضمنت عق
عمال اشتركوا في بناء الأهرامات جاء بها "جلالته اشترط بذلك العقد الموقع
من مدير كافة عمال الملك أن أحدا لا يجبر على العمل رغما عنه، وإنما يعمل
". وهناك وثيقة أخريترجع عهد رمسيس يتضمن

(١) راجع مدونة المحاسب الأول على الإنترنت، تاريخ التصفح ٢٢/١٢/٢٠١٥.

المشتغلين الملكي وبها بيان أيام الغياب
وسببها يكون ورعاية مريض
المنزلية العائلية (١).

ووثيقة أخرى ترجع إلى عهد الملك خفرع عبارة عن عقد بيع عقار موضحا فيه اسم الشاهد ويدعى " يعمل عاملا في الجبانة، وقع شاهدا مع كاهن على هذا العقد، مما يدل على تمتعه بالحقوق القانونية والمدنية، وهو ما ينفي عنه الرق (١).

ومن جماع ما تقدم يمكن التأكيد على أن مصر الفرعونية لم تعرف الرق في أغلب مراحلها، وستثبت الاكتشافات اللاحقة نفي الرق في مصر الفرعونية، حيث إن مصادرنا عن هذه الحضارة قليلة جدا بالنظر إلى عظمتها ورقبيتها، حتى إننا نجد أن مراجعنا في كثير من الأحيان أجنبية، أو بها عنصر أجنبي، مما قد يثير الشك في قدرته على تفسير الواقع المصري.

ومع ذلك فهذا لا ينفي أن أحوال العمال والفلاحين ساءت كثيرا، ووقعوا تحت قاسية من قبل بعض الموظفين، وخاصة محصلي الضرائب أو الإقطاعيين، وذلك في فترات الإقطاع، التي لا تعتبر قاعدة عامة بل هي فترات مؤقتة، لا يستطيع المصري القديم تحملها فيثور عليها مطالبا بعودة حقوقه مرة أخرى، وهو ما حدث في أكثر من واقعة على مر التاريخ الفرعوني، كمن ضمنها الثورة التي قام بها المصريون ضد الفساد وقلدوا أمازيس حاكما عليهم وهو منهم وليس من سلالة الملوك.

وبالتالي ثبتت الشخصية القانونية الكاملة للمصري القديم، وعليه ظهرت مبادئ قانونية مثل الحرية الفردية، وحرية التعاقد والتملك وغيرها.

(١) د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) د/ عباس مبروك محمد، تاريخ القانون المصري، كلية الحقوق جامعة المنوفية، ١٩٩٧، ص ٥٢.

المطلب الثالث

حقوق المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع

الاتفاق منعقد على أن دور المرأة في المجتمع لا يقل عن دور الرجل، فهي بالفعل مصدر الحب والحياة للجميع، وعليه فمن الطبيعي أن نعلو بشأنها وأن نقدرها حق التقدير، وأن تنال من الرعاية والاهتمام ما يتفق مع مكانتها ودورها، وعليه فقد كرمها الإسلام وأعلى من شأنها وأعطاهم الحقوق الكاملة لتكون إنسانا على قدم المساواة مع الرجل دون تفریط أو إفراط.

فهل عرفت الحضارة الفرعونية اهتماما وعدلا مع المرأة؟، والناظر إلى الحضارات القديمة، المعاصرة للحضارة الفرعونية، يجد ظلما بينا حاق لمرأة، واستهانة واضحة بها، ويمكن إلقاء نظرة بسيطة على وضع المرأة في هذه الحضارات، وذلك حتى يمكن إبراز مكانة المرأة في الحضارة الفرعونية، وذلك كما يلي:

- الحضارة البابلية (الكلدانية): وهي حضارة بلاد ما بين النهرين، أعظم ملوكها حمورابي صاحب مجموعة القوانين الشهيرة والتي سميت باسمه، وسادت هذه القوانين في جميع بلدان الإمبراطورية البابلية أكثر من ألف عام.

فالأولاد الذكور فقط هم الذين كانوا يرثون عن أبيهم، والبنات لم يرد ذكر لهم في هذا القانون^(١) الزواج فكانت المرأة وجسدها محلا لصفقة البيع (الزوجية)، حيث تنقل حيازتها من الولي () إلى الزوج، مقابل ثمن يعطى للولي مع تقديم الأخير هدية مالية أو عينية تخضع خضوعا مطلقا لسلطة وحيازة الزوج، بموجب عقد الزواج القانوني^(٢).

ورغم ذلك فإن قوانين حمورابي لم تجعل الرجل حاكما طاغيا على زوجته، كما كان سابقا، وإنما أعطت بعض الحقوق القليلة للزوجة والمرأة.

- الحضارة الرومانية: تعد أشهر المدونات التي صدرت في تلك

ق م، ورغم ما تميزت به من محاولات لتحقيق ورفع الظلم، إلا أنها أبقت على بعض الفوارق في الزواج خاصة بين طبقتي الأشراف والعامّة وغيرها.

أما قواعد الأسرة مثل الزواج والطلاق والإرث نجدها في اللوحين الرابع والخامس، ويتضح من أحكامهما سلطة رب الأسرة المطلقة، وعدم السماح

(١) وقد ذهب البعض إلى تبرير ذلك بالقول بأن البنت كانت تأخذ أموال من أبيها عند زواجها تسمى (الدوطة)، فهي إذن في غير حاجة لأن ترث من أبيها، وأعتقد أنه مع ذلك أيضاً فإن المرأة قد ظلمت، في هذه الحالة، لأنه ليس هناك إلزام قانوني على الأب بأن يعطي ابنته أموال عند زواجها.

راجع د/ سمير عبدالمنعم عبدالخالق أبو العنين، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

ورغم ذلك فقد أقر قانون حمورابي حقوقاً للمرأة في المهر والأثاث المنزلي، والباننة وهي الهدية التي يقدمها الأب لابنته عند الزواج يكتب بها صك مثل قائمة الزواج، إذا وجدت، وفي حالة وفاة الزوج فإن الزوجة تسترد جهازها وبيانتها ولا يدخل ذلك في الميراث.

د/ شوقي عبده الساهي، الحقوق الزوجية للمرأة عبر الحضارات والشرائع السماوية والشريعة الإسلامية، مكتبة النهضة - مصر، فهرسة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٧، ص ١٨.

(٢) د/ شوقي عبده الساهي، المرجع السابق، ص ١٧.

- -

بالزواج بين العامة (١)، فللرجل على المرأة حق الوصاية والسيطرة وذلك لا اعتقادهم بعدم كفاءتها، فالمرأة لا روح لها ولا خلود، تلتزم بالخدمة ويجب أن يكف فوهها كالبعير والكلب العقور، وهي تورث ولا ترث، فهي مطالبة بالعبادة باعتبارها رجسا من عمل الشيطان، لأنها مستحقة الذل لهوان (٢).

- عظماء المفكرين والفلاسفة في الحضارة الإغريقية:

وضع المرأة عند المفكرين والفلاسفة الإغريق سننصدم من أراءهم، فهذا _____ قد عاب على أهل اسبرطة ما أعطوه للمرأة من بعض الحقوق، وأعز سقوطها وانحلالها إلى هذه الحقوق المعطاة للمرأة (٣).

_____ : " شجاعة الرجل في الأمر، وشجاعة المرأة في تأدية " " سنكون على حق لو جنبنا عظماء الرجال ذلك العويل والنحيب "، ونلاحظ دائما أن أفلاطون في أحاديثه يصنف النساء دوما

مع العبيد والأطفال والمخبولين أو مع الحيوانات و....، ويطلق أفلاطون بأنه رسول المساواة بين الرجل والمرأة ! كيف ذلك وهو لم يحاول أن يرفع منزلة المرأة والعلاقة بينها وبين الرجل عما كان سائدا في عصره، فهو لم يعطها وزنا ولا قيمة أكثر مما كانت عليه وقت ذاك (٤).

(١) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ١٤٦.

(٢) د/ شوقي عبده الساهي، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) د/ مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الورق للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة رقم ٧، ١٩٩٩، ص ١٤.

(٤) د/ إمام عبدالفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مديبولي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص ٦١ وما بعدها.

فهو لم يحزر المرأة ولكنه أراد أن يجعل منها رجلاً، تختلط بالرجال وكأنها واحد منهم دون أي فارق بين الجنسين، حتى أنه قال " إن الدولة التي تسمح بأن تحكم حكماً مثالياً يجب أن تجعل النساء والأطفال مشاعاً للجميع".

راجع د/ جيهان السيد سعد الدين، المرأة بين التحقير والتوقير في فلسفتي أفلاطون وأبيقور، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش - جامعة عين شمس - مصر مج ٢٨، ج

هذا هو وضع المرأة في الحضارات القديمة قبل الإسلام، هذه الحضارات، التي تميزت بالتفرقة الواضحة بينها وبين الرجل، وإن كان هناك من نادى بالمساواة بين الرجل والمرأة، مثل إبيقور، إلا أنه لم ينتشر رأيه ولم يلق قبولا نظرا للواقع المرير الذي عاش فيه، واستقرار واضح لمبادئ العنصرية ضد المرأة.

- ما هو موقف المرأة في الحضارة الفرعونية؟

تعتبر المرأة في الحضارة الفرعونية ذات مكانة مرموقة، فهي تتمتع باحترام وتقدير من الجميع، ولها شخصية قانونية كاملة، فلها حق تملك العقارات والتصرف فيها وإبرام كافة التصرفات بحرية كما سنرى، ولذلك حظيت الرجل في معظم المجالات، حتى إنه أصبح لها حق تولي الحكم، وإن كانت لم تتقلده إلا خمس أو سبع مرات في حياة الحضارة الفرعونية(مريتيت- - نيتأقرت- - كليوباترا.)^(١).

ويمكن الحديث عن دور المرأة في الحضارة الفرعونية من خلال النقاط تية:

- _____ : تعد الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، فإذا

الفرعونية شأن عظيم ناتج من قوة ترابط أفرادها، فالترابط الأسري والقيم العادلة هما من أهم مجالات العدالة الأخلاقية^(١)، كل هذا لم يكن كلاما للتباهي بل كان واقعا عمليا معمولاً به.

(١) د/ حكمت محمد أحمد بركات، دور المرأة في المجتمع وأثره على التعبير في الفن المصري القديم، مجلة علوم وفنون دراسات وبحوث- جامعة حلوان- مصر، مج ٩ ع ٢، إبريل ١٩٩٧، ص ٤٦، ٤٥.

(٢) فهناك مثال بسيط يوضح مدى قوة وترابط أعضاء الأسرة الواحدة واحترامهم لبعضهم البعض، فهناك مقولة كتبت على القبور توضح علاقة الابن بأبيه حيث قال صاحب هذه المقبرة "لقد احترمت والدي وكنت باراً بوالدتي وودوداً مع أخوتي وطيباً مع مخدمتي".

د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢١٢.

وقد عمت المودة والرحمة بين أفراد الأسرة، وليس أدل على ذلك من اعتياد المصريين القدماء على الاحتفال بعيد الحب سنويا، في تجسيد لعلاقة الحب بين الزوجين التي كانت مستقرة في نفوسهم دائما.

موجودة على القبور الفرعونية تعبر عن الحب والمودة بين الزوجين، فقد تظهر المرأة بإحدى يديها تطوق كتف زوجها أو خصره أو تلمس ذراعه، تدليلا على حبها وارتباطها به، وذلك باستحياء. وقد يسجل " ولده الحبيب"، وكان يفعل شيء نفسه مع البنات فكان يسجل مع كل بنت منهم أيضا أنها " بنته وحبيبته" وهذا يدل على قمة المساواة بين البنت والولد والسماحة والمودة ()

وفي وصية لأحد الحكماء يقول فيها" (بيتا وأحب زوجتك وخذها بين ذراعيك، أشبع جوفها، واكس جسدها، إن الدهان هو علاج أعضائها، أفرح قلبها طول حياتك، لأن مثلها مثل الحقل الذي يعود بالخير الوفير على صاحبها" ()

ورغم هذه المودة والارتباط بين الزوجين إلا أن لكل فرد ذمة مالية مستقلة لا وصاية عليه من أحد، فيحق للمرأة أن توصي لمن يشاء الزوج، ففي وثيقة " " المكتشفة أوصت السيدة" " إلى ابنها " " بجزء من مالها بحرية كاملة دون وصاية أو وجود لنظام ملكية الأسرة الذي يلغي الشخصية القانونية لأفراد الأسرة؛ لتكون بيد الأب أو الابن ()

وهناك وثيقة أخرى ترجع للقرن الثاني م صادرة عن أم مصرية ورد فيها" ها أنا ذا قد طعنت في السن وهم لا يعنون بي فمن بادر منهم ووضع

(^١) د/ عبدالعزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص ١١٠.

(^٢) محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٣٧.

(^٣) د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

يده في يدي فسأعطيه من أملاكي، ومن لا يفعل فلن أعطيه شيئا، وهذه هي أسماء الأبناء الذين يشتركون في الثلث الخاص بي، وكذا ما يخصهم من تركة الثلثين الموروثة عن والدهم"، مما يدل على وضع المرأة وكمال شخصيتها القانونية (١).

- نظام الميراث: رأينا ما ارتضاه المجتمع المصري من عدالة ورفعة لشأن المرأة ومساواتها بالرجل في معظم فترات العصر الفرعوني. لم تتضمن الوثائق المكتشفة قوانين عن تقسيم الإرث، وعليه فقد ثار خلاف حول تحديد نصيب المرأة من الميراث، فذهب رأي إلى أن للمرأة المساواة المطلقة مع الرجل، وذهب رأي آخر إلى أن المرأة كانت تراث في تركة أبها نصيبا مساويا مع الرجل إلا في عصور الإقطاع حيث حرمت المرأة من (٢).

وقد دلت الوثائق على حق كلا الأبوين في الوصية لأولاده بما يراه نافعا، وذلك بنسب متقاربة ودون حرمان الفتاة أو غنبتها، وهناك بعض الوثائق تدل على إعطاء قيمة الثلث للزوجة مع الاستفادة من الثلثين الباقيين من منفعة الأموال لمدى حياتها (٣).

أما في حالة ما إذا مات أحد الوالدين دون أن يترك وصية، ورجب أولاده في تقسيم الميراث عليهم، فكان لا يتم ذلك إلا عن طريق الحكام والقضاة بحكم لا يحرم أحد الأبناء من التركة، فقد كتب أحد القضاة "إني لم أحكم بين أخين بما يحرم ابنا من ممتلكات أبيه"، ويقول أحد الحكماء "الأخر وأنت لا تدري أيهم سوف يكون عطوفا بك أكثر من (٤)".

(١) د/ عبدالعزيز صالح، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) د/ السيد عبدالحميد علي فوده، القانون الفرعوني، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤، ص ٢٩٧.

(٣) د/ عبدالعزيز صالح، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٤) د/ عبدالعزيز صالح، المرجع السابق، ص ١٢٧.

وهناك بعض الوثائق المكتشفة تدل على أنه كان يتم تمييز الأخ الأكبر بجزء يسير زيادة له نظير تقسيم التركة، ولابد من رضا باقي الورثة على ذلك، وفي المقابل كانت البنت لا ترضى إلا بمهر يعوض ما تركته لأخيها عند زواجها، وأكدت هذه الوثائق أن المال المتروك للأخ كان قليلاً ويرضا الورثة. راجع د/ شوقي عبده الساهي، المرجع السابق، ص ٦.

- _____ :-
ورفع القضايا دون وصاية من أحد عليها، وهناك العديد من الوثائق التي تدل على ذلك منها:
في أوائل الأسرة الثامنة عشرة أقام عدد من الورثة، بينهم نساء، دعوى تقسيم ملكية موروثه، وقضت المحك
الورثة، وتم استبعاد بعض آخر من بينهم نساء، واستأنف الحكم أمام محكمة العدل العليا، وحكم بتعيين واحدة من البنات (السيدة أوريرو) الأملاك محل النزاع، وترافعت إحدى السيدات أمام المحكمة مدعية أن نصيبها لمحكمة من ذلك، وتم تسليم نصيبها إليها مرة أخرى اعتماداً على أنها وارثة حيث إنها ابنة المالك الأول للأموال^(١).
وفي هذا الحكم دلالة قوية على حق المرأة في التقاضي دون وصاية من أحد، ومن جهة أخرى تقريراً قانونياً بأحقية البنت في الميراث من أبيها دون حاجة ير وصاية أو هبة منه.

- _____ :- بداية نؤكد أنه لا صحة لما قيل عند البعض من أن مصر الفرعونية قد عرفت في أية مرحلة من مراحلها نظام السلطة الأموية، بل قامت الأسرة المصرية على السلطة الأبوية دون^(٢).

(١) د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢٨٨.

(٢) د/ محمد بدر، نظم القانون الخاص في الدولة القديمة، بدون ناشر ولا سنة نشر، ص ٣٠.

اعتقد البعض بأن المكانة السامية التي كانت تحتلها المرأة الفرعونية نابعة من نظام السلطة الأمية التي كانت تقوم عليها الأسرة المصرية القديمة، وهذا القول على غير سند فلا تلازم بين المكانة المرموقة التي حظيت بها المرأة وبين مفهوم النسب ونظام الأمية، فالمكانة الاجتماعية المرموقة التي حظيت بها ناتج عن عظمة ورقبوتقدم الحضارة الفرعونية وليس عن سلطتها الأمية في الأسرة، وذلك للأسباب التي ذكرناها وسنذكرها. هذا رأي المؤرخ كوترل.

د/ عباس مبروك الغزيري، تاريخ القانون المصري "القانون الفرعوني"، كلية الحقوق جامعة المنوفية، ١٩٩٧م، ص ١٧٢.

أنه كان المصري القديم في الغالب لا يتخذ سوى زوجة واحدة فقط^(١)، ويجب عليه أن يعاملها برفق ومودة، والدليل على ذلك ما وضعه الحكماء من وصايا مثل "زوجتك لأن اللين يفلح معها أكثر من القوة، انتبه إلى ما ترغب فيه وإلى ما تتجه نحوه رغبتها وتنظر عيناها واجلبه لها، وبهذا تستبقيها في منزلك" وغيرها من الأمثلة سبق الإشارة إليها^(٢).

وكانت موافقة الأب على الزواج ضروريا لانعقاده، مما يدل على السلطة الأبوية وليس الأموية، فهناك وثيقة ترجع إلى حكم الملك بسماتيك الأول جاء فيها أن الكاهن "بادي إيز" التقى الكاهن "فدعاه للعشاء هو وزوجته وبناته، وأثناء تناولهم العشاء رأى" "إحدى بنات الكاهن" "بادي إيز" - - - "والتي لاقت قبولا لديه، وطلب من الكاهن مساعدته في إيجاد مكان له وأن تصبح ابنته زوجة له، ورد عليه بأن ابنته لم يحن وقت زواجها، وكن كاهنا لأمون أعطاها لك، ورحل وعاد ومعه ما يثبت تعيينه كاهنا وزوجه ابنته، وكانت الأم تقوم بدور الأب في الموافقة إذا كان متوفيا^(٣).

ويحق للفتاة قبول أو رفض الزواج، حيث دلت البرديات المكتشفة والخاصة بعقود الزواج على أن المرأة تعتبر شريكة للزوج وليست أقل منه، حيث نجد صيغة الزواج تبدأ بقول الرجل "مما يعني أنه قد لا يكون هناك وسيط أثناء إبرام عقد الزواج، وأن الزوجين حاضران لمجلس العقد^(٤).

(١) د/ شوقي عبده الساهي، مرجع سابق، ص ٢١.

راجع كذلك د/ صوفي أبوظالب، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

(٢) محرم كمال، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٣) وقد ينوب الخال عن الأب والأم، فقد ذكر أن حلاق الملك تحوتمس الثالث ويدعى "ساب سنت" زوج ابنة أخته لرجل كان يعرفه.

راجع د/ شيخة عبيد دابيس الحربي، ترتيبات ما قبل الزواج في مصر القديمة، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني الكويت، ص ٥ ع ١٧، ٢٠١٢م، ص ١١.

(٤) بردية ترجع إلى الأسرة السادسة والعشرين في عصر الملك أحمس الأول.

راجع د/ شيخة عبيد دابيس، المرجع السابق، ص ٤.

وأخيرا نظمت مدونة بوكخوريس عقد الزواج بعدل ومساواة، ونستطيع أن نستخرج منها بعض الأحكام كما يلي:

- اج، مثل باقي العقود، قائم على الرضائية بدليل قول
" "
- يجوز للزوجة أن تشترط في عقد زواجها بعدم قيام الزوج بالزواج بأخرى، وإلا التزم بالتعويض، مع تقرير نفقة للزوجة حين تطليقها ويتم الاشتراط بذلك في عقد الزواج^(١).
- يحق للأرمل
فوات مدة معينة حتى لا تختلط الأنساب، أما بالنسبة لحضانة الأولاد فكانت تثبت لمن بقى حيا من الزوجين دون تفرقة^(٢).
- _____: عرف المصريون القدماء الطلاق، وكان نادر الحدوث لما ساد الأسرة المصرية من استقرار وحب ومودة، وكان من أسبابه: -
حالة عدم رضى الزوجة بوجود زوجة ثانية- خيانة الزوجة للزوج-
الإخلال بالشروط الواردة في عقد الزوجية مثل
اشتراطها الحق في التطليق أو الفسخ.
تحرير وثيقة بذلك، وقد عثر على وثيقة كتب فيها الزوج "يت
اليوم عنك كزوجة، أنا بعيد عنك، اتخذني لنفسك زوجا من اليوم
الحالي فصاعدا، لن أقف أمامك في أي مكان قد تذهبي إليه من اليوم
" (٣)

(١) د/ سمير عبد المنعم عبدالخالق أبو العنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديمة، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) د/ السيد عبدالحميد فودة، مرجع سابق، ص ٢٩٣.

(٣) د/ عباس مبروك الغزيري، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

هذا هو وضع المرأة المرموق في مصر الفرعونية، وازدادت هذه المنزلة أكثر حينما تولت المرأة الحكم، فهذه السياسة، ولم يقل دورها في الجانب الاجتماعي أيضا^(١)، وهذا يدل على مدى الرقي في الحضارة الفرعونية الذي لا يقل درجة عما هو معمول به في الحضارات الحديثة الآن؛ فقد رأينا التنظيم الرائع للعلاقة الزوجية والحقوق التي تمتعت بها المرأة في مواجهة الرجل^(٢).

المطلب الرابع

حق النفاذ وترتيب المماكم

(١) ذهب البعض إلى أن دورها الاجتماعي قد تدنى حينما أبيض زواج الأخ من أخته. د/ سعيد عبدالله حارب، الحقوق الاجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع، مجلة الجامعة الإسلامية (رابطة الجامعات الإسلامية) مصر، ع ٤٠، ٢٠٠٦م، ص ١٢. وهذا القول مردود عليه لعدة أسباب منها: أن كثير مما وصل إلينا من أدبيات العصر الفرعوني نجد فيه مخاطبة الزوج لزوجته بالأخت والمحبوبة، مما قد يفهم منه أنها أخته وهذا خاطئ، فقد دل هذا التعبير على درجة الإعزاز والحب بين الزوجين. وعلى فرض زواج الأخوة في الأسر الملكية (على غير الحقيقة) فهذا خاص بهم فقط، قد يكون سببه تنقية الدم الملكي، وهو ليس دليلاً على وجوده بين عامة الشعب المصري. إن الروايات التي قيلت في زواج الأخوة صدرت من مؤرخين إغريق وتتعلق بالفترة التي خضعت فيها مصر لحكم الإغريق، ولا يصح أن نعول عليها، خاصة وأن القوانين الإغريقية كانت تبيح الزواج بين الأخوة والأخوات،=والدليل على ذلك أنه لم يعثر حتى الآن على أي وثيقة زواج واحدة بين أخت وأختها، ونؤكد مجدداً أن لفظ أخت يعني المعزة والتقدير.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

(٢) حتى أنه عندما نظم عقوبة الزاني والزانية لم يفرق بينهما، فهي جريمة وخطيئة دينية عقابها الإعدام، وإن كان قد عدل عن الإعدام في مراحل لاحقة وجعلت العقوبة الجلد للزاني ألف جلدة، وجدع الأنف للزانية.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

إن القضاء يناط به إقامة العدل بين الناس، وعليه فقد صارت من أهم أولويات النظام الحديث، بل هو معيار على تقدم الأمم والحضارات.

وقد اهتمت الحضارة الفرعونية بنظام القضاء وتحقيق العدل والمساواة، أنها جعلت آلهة للعدل، كما ترجمها المؤرخون، سميت " " الحكام الوزراء والقضاة بأن يضعوا تمثالها في أعناقهم^(١)، تأكيداً على المراقبة الواقعة عليهم في تحقيق العدل.

ولم تكن فكرة العدالة والمساواة شعاراً بلا تنفيذ، بل هي حقيقة واقعة واجبة التنفيذ من الحاكم قبل المحكوم، فكان الملك يقول دائماً " العدالة قادرة، إنها عظيمة، إنها سرمدية"^(٢).

وعلى ذلك تميز نظام القضاء بخصائص أهمها^(٣):

- تولى حكام الأقاليم رئاسة محكمة الإقليم، وهناك محكمة عليا في العاصمة تولى رئاستها الوزير، وتختص باستئناف ا من محاكم الأقاليم، مما يعني تعدد درجات التقاضي.
- كان القضاة مدنيين، ولا وجود للكهنة في القضاء (الانحدار التي كان يسيطر الكهنة فيها على الحكم وبالتالي القضاء).
- لا يوجد تمييز بين المصريين في حق اللجوء للقضاء، فلا فرق بين و بين فقير وغني.
- الملك هو المختص بتعيين القضاة، وكانت لهم منزلة رفيعة، وكانت

ويمكن الحديث عن هذه النقاط كما يلي:

- رئيس السلطة القضائية: كان الملك هو المسجد للعدل في الأرض، وعليه كانت كل السلطات في يده، بما فيها السلطة القضائية، فهو

(١) د/ محمد محسوب، المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٣) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

الذي يعين القضاة ويصدر التشريعات المنظمة، فلم يكن نظام الفصل بين السلطات معروفا في مصر الفرعونية^(١).

ولم يكن الملك يتولى الفصل في القضايا إلا في حالات خاصة، وعليه فقد أناب موظفين () وأمرء لهم سلطة الفصل في القضايا، وكان هناك منصب كبير القضاة الذي كان يجلس في القصر الملكي، وهو الوزير، وقد ظهر هذا المنصب ابتداء من عهد الأسرة الرابعة، منذ الملك سنفر، ظهر منصب الوزير، وهو أسم جديد لمنصب المستشار الأكبر^(٢).

- تعدد جهات التقاضي: تميز النظام القضائي في مصر الفرعونية

أول درجة في كل إقليم، بالإضافة إلى محكمة استئنافية مركزية في العاصمة برئاسة الوزير.

محكمة الإقليم عبارة عن مجلس أعيان برئاسة أمير الإقليم () وتختص بكل المنازعات المدنية والجنائية لجميع المصريين دون تمييز، وكان

(١) د/ فخري أبو سيف حسن مبروك، مظاهر القضاء الشعبي لدى الحضارات القديمة، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة عين شمس، ١٩٧٤ م، ص ٧٦.

(٢) راجع د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ص ١٤٥. وقد ذهب سيادته أن مصر الفرعونية قد عرفت نظام الفصل بين السلطات، ما عدا الفترة التي أختلط فيها الدين بالدولة، وذلك متمثل في وجود مجلس العشرة، الذي يتكون من عشرة موظفين كبار يعينهم الملك ممثلين لإدارات الدولة المختلفة، ولا يجوز الجمع بين عضوية هذا المجلس وبين الوظائف الكهنوتية أو العسكرية.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ص ١٤٨. وإن كنت أختلف مع سيادته، حيث أن نظام الحكم قائم على الملكية المطلقة، بتركيز جميع السلطات في يد الملك، مع وجود معاونين من الموظفين يساعدوا الملك في أعباءه مثل "كاتبوا أسرار الملك"، " مجلس العشرة الكبار" الذي كان يقدم الرأي والمشورة للملك، وليس له أي اختصاصات تشريعية أو تنفيذية، وكان يختص بشؤون الإدارة دون الحكم، فقد كان يكلف كل عضو من أعضائه بمراقبة سير العمل بمرفق معين في الدولة.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ص ١٤٧.

يتبعها قلم المحفوظات وقلم الكتاب لزيادة فعاليتها ولتيسير العمل على المتقاضين، مما يعني أن إجراءات التقاضي كانت كتابية^(١).

وكانت هناك أشكال وصور أخرى للتقاضي منها _____ يختص بالفصل في المنازعات التي تنشأ بين الأفراد وجهة الإدارة، مثل تقدير ين أو غيرها، وكان هذا القضاء يتكون من كبار الموظفين المختصين بالنزاع برئاسة أمير الإقليم، ويجوز التظلم منها أمام محكمة عليا (إدارية).

المحكّمين وكان يجوز للأفراد في المنازعات المدنية أن يتفقوا على استبعاد الالتجاء للقضاء المنظم وأن يطرحوا ما ينشأ من نزاع بينهم إلى محكمين يختارونهم من بين الأسماء التي تم الاتفاق عليها مسبقاً، وحكم المحكمين كان نهائياً وناظراً^(٢).

وهذا يدل على درجة الرقي والتميز والتنظيم، حيث إنه يشابه ما وصلت إليه الدول الحديثة الآن^(٣).

- نزاهة وعدالة المحاكمة: كل التشريعات الصادرة في الفرعوني كانت تأمر بالعدالة والمساواة بين الناس، كما سبق توضيحه، فوجد مثلاً تشريع حور محب الذي اعتمدت أحكامه الاتجاه الأخلاقي لمنع الاستغلال وعدم المساواة والظلم، فهو ينص على

(١) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٣) وبمقارنة هذا التنظيم بالقانون الروماني نجد الأخير قد أعتمد نظاماً أشبه بالتحكيم يتولاه الأفراد أنفسهم وينفذون الحكم دون وجود عنصر خارجي.

المرجع السابق، ص ٣٢٤.

- انقطاعها في عصر الإقطاع والتدهور^(١)، وقد وضع هذا القانون شروطا لحسن اختيار القاضي من ضمنها أن يكون أحسن الناس سيرة وأكرمهم خلقا، وقد حرم عليهم أن يتهادوا مع الناس أو أن تكون بينهم معاملات مالية، وقد رأينا سابقا إلزام القضاة بوضع " حول عنقه، حتى يظل أم السير على تعاليم العدالة.

وفي هذا تنظيم بديع لإصلاح مرفق القضاء والعمل على أن يكون نزيها، الأوضاع، خاصة بالنسبة للفقراء، الأمر الذي جعل بناء حضارة عظيمة سهلا ميسورا، وهو ما تم بالفعل.

ومما سبق يتضح أن السمة الرئيسية لنظام القضاء الفرعوني هي نزاهة القضاء، فقد كان القضاة يقسمون ألا يصدرُوا حكما ظالما حتى ولو أمرهم به

أما من ناحية التحقيق فقد أحيط بضمانات عديدة منها إسناد هذه المهمة إلى جهة قضائية برئاسة القاضي ضمانا لحيات الناس، فلا يجوز استجواب المتهم إلا أمام المحكمة، إلا باستثناء خاص، حتى ولو تعلق الأمر بالملك شخصيا، فهذه واقعة مؤامرة حريم القصر، في عهد الملك رمسيس الثالث، حيث كان باستطاعة الملك توقيع العقاب الفوري أو استجواب المتهمين، إلا

(١) د/ محمد محسوب، المرجع السابق، ص ٢٤٥.

تشريع حور محب (١٣٢١-١٢٩٢ ق.م) هو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر، ومن ضمن ما ورد به " تلك التشريعات بغرض إقامة العدالة على الشاطنين"، وقد أعاد تنظيم القضاء الإداري الذي أصبح من ضمن اختصاصه النظر في الشكاوى ضد القضاة الفاسدين، فجعل محكمتين أحدهما في طيبة والأخرى في هليوبوليس برئاسة قاضي كبير برتبة وزير، تختص بمحاربة الفساد القضائي والإداري، كذلك فعل تشريع بوكخوريس و أمازيس السابق ذكرهما.

المرجع السابق، ص ٢٤٧.

أنه أحال الواقعة إلى القاضي وأمره بالعدل معهم، سبق الإشارة إليها في

ويبدأ التحقيق بوجود شكوى مكتوبة ترفع إلى الجهة المختصة (حاكم الإقليم
) ثم تحال إلى المحكمة التي تتولى التحقيق بسماع أقوال الشهود
واستجواب المتهم، وذلك بعد أداء كل منهم قسما بحياة الملك على قول
()

وهذا مثال على ما يجري داخل المحكمة، ففي بردية عثر عليها محفوظة الآن
" " لواقعة اتهام بسرقة في منتصف
عصر الملك رمسيس الثاني) - (وقائعها كما يلي "
تهمة بالسرقه" " والتي قامت بشراء جارية
سورية تدعى" " " اريا" بأنها قدمت ثمنها
للتاجر من الفضة الخاصة بها وليس فيها شيء مملوك للمرأة" " "
والتي اتهمتها بأنها سرقت جزءاً من الفضة التي اشترت بها الجارية.

ة المتهمه" " اقصي بالملك له الحياة
: إذا شهد الشهود ضدي أن هناك أشياء مملوكة
" " في هذه الفضة التي دفعتها ثمناً لهذه الجارية، وأني قد
أخفيت ذلك، يكون جزائي أن أضرب وأن أحرم من هذه الجارية، وقد أقسمت
" ()

واضح من هذه الواقعة الإجراءات التي كانت متبعة للتقاضي، والتي تبدأ
بتقديم الشكوى ثم حلف اليمين ثم سماع الشهود.

وفي واقعة أخرى كان طرفاها عاملاً يدعى" " ورئيس البوليس ويدعى"
"، فقد باع الأول للثاني قدر من السمن على وعد أن يدفع
ثمن شعيراً، ولكن الأخير أخل بالتزامه، وقد أرسل " " "
" ثلاث مرات في المحكمة لينفذ التزامه، ولكنه لم يحضر ولم ينفذ التزامه

(^١) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٥٧.

(^٢) د/ سوزان عباس عبداللطيف، العقوبات البدنية في مصر الفرعونية إبان عصر الدولة
الحديثة، مجلة كلية التربية- جامعة الإسكندرية، المجلد ٦ العدد ١، ١٩٩٣م، ص ٣٣١.

حتى السنة الثالثة من عهد رمسيس الرابع، وأخيرا أجبر على الحضور وأقسم بأنه سيوفي بالتزامه قبل انتهاء السنة الثالثة للملك، وإذا لم يفعل فإنه يستحق مائة ضربة ويدفع ما عليه مضاعفا^(١).

واضح من هذه المنازعة ما فيها من مساواة أمام القانون، لا فرق بين عامل بسيط ورئيس البوليس، فقد استطاع العامل أن يأخذ حقه من شخص ذي منصب وذلك أمام محكمة نزيهة لم تمنعه من الشكوى، بل وقفت بجواره حتى هاية، فالفكر المستقر بين الجميع أنه لا فرق بين بسيط وذي سلطان أمام القانون، بل إن القاضي يحمي الضعيف ويأخذ بيده، وهذا ما جعل نزاهة المحاكمة وبساطة إجراءاتها وإنجازها معيار على سرعة التقاضي وحماية

ورغبة في تأمين حقوق وحرية الأفراد أمام المحكمة، فقد تقرر تجريم الادعاء الكاذب وتوقيع عقوبة الضرب على مقترفيه، ونسوق على ذلك المثال

ورد في العام الخامس من عهد الملك سيتي الثاني (من أن رئيس العمال المدعو " وقف أمام المحكمة التي كان يرأسها زميله مشرف العمال المسمى " بتهمة سب الفرعون، فقد ذكر المدعون لهذه التهمة (كانوا من الفلاحين) " " " سيتي " " في دفاعه أن هذا الوقت الذي ذكر فيه المدعون قيامه بهذه الجريمة كان مستغرقا في النوم، وشرعت المحكمة في استجواب ومناقشة المدعيين وبسؤالهم عن طبيعة هذا السباب المزعوم سكتوا وأعلنوا أنهم لم يسمعوا شيئا ضد الفرعون، وفي النهاية استبان للمحكمة بأن المدعين ادعوا كذبا على " وحكمت عليهم بعقوبة

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٤.

الضرب مائة ضربة جراء فعلتهم () .

هذا ما وصلت إليه هذه الحضارة من رقي وتقدم، فالناظر إلى الوقاء يقف مندهشاً من نزاهة المحاكمات وعدالتها، واحترام حقوق المتهمين والمدعين، وإجراءات التقاضي التي كانت تتم بمهنية، فتبدأ بالكتابة ثم تقديم ما يفيد صحة الادعاء، من شهود وغيرهم، ثم تحقيق واستجواب من قبل

ف عند تنصيب الوزير " " " "

الموظفين، وضع فيه مبادئ العدالة والمساواة، المستقرة في نفوس المصريين والواجب احترامها من قبل الوزير، الذي يعد كبير القضاة، وتضمن هذا الخطاب ما يلي: " ليست الوزارة حلوة بل هي مرة....

ر العليا أو السفلى فاحرص على أن تنظر الموضوع في جلسة علنية، وأن تقضي فيه بما يطابق القانون وأن يعطى كل إنسان حقه....، انظر إذا ما أصدر قاض حكمه في قضية ما فإن الماء والرياح تبوح....، ستري ما تعرفه فساوه بمن لا تعرفه، وعامل القريب منك

كالبعيد، لا تلتفت عن شاكٍ دونما تنصت إلى كلماته، فإذا أعاد كلماته فلا تمنعه بزعم أنه قال ذلك سابقاً، ولا تصرفه من مجلسك إلا بعد أن تفهمه الأسباب التي تصرفه لأجلها، فالشاكى يحب أن يرى القاضي منصتاً له أكثر من رغبته في تحقيق الغاية التي أتى من أجلها، إن قيمة القاضي مستمدة من ممارسته للعدالة" () .

(^١) د/ سوزان عباس عبداللطيف، المرجع السابق، ص ٣٣٥ .

ورغم ذلك فإنه قد يوجد بعض السلبيات التي قد تشوب عملية المحاكمة وخاصة في الجرائم الجنائية، فقد يجوز لهيئة التحقيق استخدام القسوة والضرب أثناء استجواب المشتبه به حتى يعترف، وهذا لم يكن السمة الغالبة في هذه الحضارة، بل كان خاصاً ببعض الجرائم المهمة مثل سرقة المقابر الملكية، فالبرديات المكتشفة، والخاصة باستخدام الضرب، متعلقة بسرقة المقابر الملكية، مما يدل على تخصيصها فقط في هذه الحالة.

(^٢) د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢٢٨ .

هذه هي واجبات كبير القضاة، والتي كانت تنطبق على كل القضاة، فقد سبق توضيح كيف كان يجري اختيار القضاة على أساس سمعتهم الطيبة وعدالتهم، ولا نستبعد بناء على ذلك أنه كان يتم عقد اختبار لهم للتأكد من سلامتهم لتولي منصب القضاء، وهذا ما ستكشفه لنا البرديات التي ستظهر لاحقاً.

وعلى ذلك فإن اختصاصات القضاة كانت واضحة ومحددة، لا يجوز لأي منهم التقصير فيها، حيث كانت هناك رقابة من جهات مختلفة مثل الحاكم أو الوزير.

فهل يعني ذلك عدم وجود رقابة على الفرعون؟ وأن الأخير هو المسيطر والمتحكم بصفته حاكماً مطلقاً فلا يجوز التعقيب على قراراته وأحكامه؟

بداية إن النظام الديمقراطي، المعروف حالياً لدى الدول المتقدمة، لم يكن معروفاً في مصر الفرعونية، فالشعب لم يشارك في أي من سلطات الدولة، التشريعية والتنفيذية والقضائية، بالمفهوم المتعارف عليه الآن، ولكن رأينا عدالة في التعامل مع عامة الشعب، ومساواة في التقاضي وغيرها من مبادئ ومظاهر الديمقراطية الحديثة، أما رقابة الشعب على أعمال الفرعون فهي موجودة في صورة محكمة يتم تشكيلها بعد وفاة الفرعون مباشرة وقبل دفنه، ففي آخر أيام الحداد يتم و

فيما قدمه الفرعون المتوفي من أعمال في هذه الحياة، ويجوز لمن يشاء من ناس أن يتهمه، وإذا صاحت الجماهير الحاضرة مستنكرة موافقه حال حياته أصبح ذلك اعتراضاً ولا يتم إجراءات الدفن الرسمي ويحرم منها وتحل عليه اللعنة، أما إذا صرحت الجماهير بحياته المجيدة كان يسمح له بالدفن الرسمي لأنه حظي على رضى الشعب ولن تحل عليه اللعنة^(١).

أ لحضور أطياف الشعب لهذه المحاكمة فهي تمثل نوع من أنواع الرقابة الشعبية على أعمال الحكام، وهذه الرقابة كانت فعالة جداً، رغم وفاة الملك، حيث إن فكرة الموت لدى المصريين القدماء هي انتقال إلى دار الخلود، بدليل

(١) د/ فخري أبو سيف حسن مبروك، مظاهر القضاء الشعبي لدى الحضارات القديمة (مصر الفرعونية - اليونان - روما)، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية كلية الحقوق جامعة عين شمس، مج ١٦ ع ١، ١٩٧٤م، ص ٧٤.

أن المتوفي نجد معه في قبره حاجاته الشخصية من ذهب وخلافه، ولهذا أهمية كبيرة في نفوس الحكام، الذين يخشون أن يطردوا من حياة الخلود ويحرموا من الدفن الرسمي، لذلك نجد أعمالهم تدل على خوفهم من العقاب

هذا هو مفهوم الرقابة في تلك الحقبة، وما لها من دور فعال ومؤثر في وجدان الحكام، الذين سيسعون إلى إرض

ومن ناحية أخرى نجد أن الملك " أمازيس " قام بتشكيل جمعية وطنية، من أفراد الشعب، تعاونه في تنقيح ومراجعة جميع القوانين المصرية التي صدرت قبله، وانهقدت هذه الجمعية طوال خمسة عشر عاما، ولم يضم في عضويتها أيا من الكهنة أو النبلاء، وأفرزت هذه الجمعية قوانين أمازيس التي عبرت بالفعل عن الديمقراطية والعدالة والمساواة ، كما سبق ()

(١) المعروف أن الملك أمازيس من عامة الشعب الذي قلده منصب الملك بعد ثورة ضخمة على الإقطاع والظلم الذي انتشرت في عهد الملك ابريس.
راجع للمزيد د/ سمير عبد المنعم عبدالخالق أبو العيين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديمة، مرجع سابق، ص ٨٠ وما بعدها.

المبحث الثالث

التنظيم القانوني لحق التملك وإبرام العقود وتولى الوظائف

رأينا سابقا مدى التقدم والرقي في تنظيم القضاء وحقوق المتقاضين، ومد اعتماد الأخلاق كمعيار لكل التعاملات والقوانين، وأصبح القانون الأخلاقي حاكما لكافة طوائف المجتمع حكاما ومحكومين، حتى استقر عدم جواز مخالفته وبذلك تكون الضمير الاجتماعي الملزم للجميع، وهذا ما رأيناه واضحا في الأمثلة السابقة، ونتج عن ذلك مساواة بين الرجل تقرير حقوق كاملة للمرأة في التعاقد والإيضاء وقبول الورث وغيرها، فقد رأينا المرأة ترتاد المتنزهات وتلقي الشعر بما يدل على حرية لم يعهدها أصحاب الحضارات القديمة.

فهذا الرقي والتقدم قد وحد المصريين على ضرورة إقرار حقوق لهم تصان ولا تهان، يطلبونها من الحاكم دون خوف أو امتهان، ولا يكتفوا دون أن يروا تطبيقا فعليا للعدل والمساواة، فقد رأينا كيف قلد الشعب الملك أمازيس حاكما عليهم بعد أن قاموا بثورة على السابق الذي أجحف حقوق المصريين، فظهرت القوانين المعبرة عن قيم الحرية والعدل والمساواة.

لى حرية في التملك وحرية في إبرام العقود وقيمة عظيمة للعمل، فتم وضع مبادئ مثل الرضائية، وحرية العمل وغيرها.

وبناء على ذلك نقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب كما يلي:

: نظام التملك في مصر الفرعونية.

.

.

المطلب الأول

نظام التملك في مصر الفرعونية

قد يتوهم البعض أن المصريين القدماء لم يكن لهم حق التملك، نظرا لطبيعة كون الفرعون هو حاكم إله، أو ابن إله، مما يكون له سلطة مطلقة تجعله المالك الوحيد لجميع أرض مصر دون منازع، وهذا القول لا يستقيم مع ما ذكر سابقا من تمتع المصريين بالشخصية القانونية الكاملة، بالإضافة إلى الوثائق المكتشفة والتي تدل على حق المصري في التملك تبعا لثبوت شخصيته القانونية، وعلى ذلك ظهرت عدة صور من الملكية هي:

- الملكية الفردية: ثبت من البرديات المكتشفة قيام حق المصري في التملك، وله وحده سلطة كاملة على الشيء المملوك من حيث استعماله واستغلاله والتصرف فيه.

حيث وجدت ملكيات صغيرة لا تتجاوز هكتارا واحدا، وملكيات كبيرة لا تتجاوز هكتار، وكانت هذه الملكيات مسجلة في سجلات عينية مما يسهل عملية تيرد عليها، حتى أنه كانت توجد دعوى الاسترداد لحماية حق الملكية من أي اعتداء^(١).

وعلى ذلك يحق للمالك التصرف بالبيع والهبة وغيرها، ويثبت هذا الحق للرجل والمرأة على السواء، فقد رأينا سابقا حق المرأة في أن توصي ببعض أملاكها لأولادها، ولها اكتساب الملكية بالشراء أو الوصية أو بالإرث أو عن طريق منحة من الحاكم.

وبالرجوع إلى القوانين المصرية القديمة، على رأسها قانون بوكخوريس-أمازيس-...، نجد ما يؤيد القول بحق المصريين في التملك:

قانون بوكخوريس الذي قضى على كل مظاهر التمييز التي انتشرت في الملكية للمصريين، وأعاد للملكية الفردية شأنها، وفي ذلك يقول ديودور الصقلي " بوكخوريس قد اعتبر في قانونه أن الأموال

(١) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ٣٤٣.

مملوكة لمن كسب ملكيتها عن طريق عمله الخاص، أو لمن انتقلت إليه عن الغير أو بالهبة"^(١).

وأقرت ذلك أيضا قوانين أمازييس، بل وأدخلت نظاما جديدا أطلق عليه (الإشهاد بالميزان) وعن طريقه يتم وزن العين محل البيع وتقدير ثمنها بناء على ذلك، وهذا في جميع العقود الناقلة لملكية المنقولات.

والملكية العقارية يجب إثباتها في ديوان الخاتم ومكاتبه المختلفة في المحافظات، وبتتبع هذا الديوان وجد أنه يحوي على دفاتر للتصرفات الناقلة للملكية مدون بها أسماء قطع الأراضي وملاكها وما وجد بها من تصرفات^(٢)، وهذا مشابه للتسجيل العقاري حاليا الذي يعتمد على وثائق مثبت بها أرقام قطع الأراضي وأسماء ملاكها والقيودات الواردة على الملكية.

فهذه بردية^(٣) (١) صك نقل ملكية عن اتفاق بين " " " " وهي تمثل نموذجا لصيغة تحرير الوثائق القانونية

(١) د/ سمير عبدالمنعم عبدالخالق، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديمة، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ٣٤٣.

(٣) هي بردية آرامية عثر عليها في جزيرة الفنتين ومحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة برقم (٣٧١٠٧) قام "كولي" بترجمة ٣٦ بردية أخرى، وفي عام ١٩٢٣ نشر ٨٣ بردية مع قصة "أحيقار" بعد أن قام بترقيمهم، وعرفت باسمه مثل "كولي ٦ - كولي ٨ - كولي ٩...." وجميعها يتعلق بموضوع نقل الملكية وإثباتها.

- راجع نازك إبراهيم عبدالفتاح، إعادة قراءة بردية آرامية من مصر (٤٦٥ ق.م)، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان "الفكر في مصر عبر العصور" - مركز الدراسات البردية والنقوش - جامعة عين شمس - مصر - ج ٢، ٢٠١٣م، ص ٢٠٨.

فيما تتضمنه من ملامح نظم إثبات جواز امتلاك الأراضي والمنازل للمصريين
(١)، ويتوافر فيها ما يلي:

- تاريخ الوثيقة مسجلاً به يوم تحريرها (وهو الثامن عشر من شهر " كيسلو" البابلي الموافق اليوم السابع من شهر توت القبطي، يليه تسجيل السنة من حكم الملك....).
- تحديد المكان.
- ذكر الأطراف المعنية وهما " " " محسية".
- الموضوع وهو نقل ملكية أرض.
- وصف تفصيلي لحدود الأرض.
- شروط العقد وأهمها نقل الملكية ودفع الثمن، مع وجود صيغة المنح أو الهبة وهي " أعطيك () في حياتي وبعد مماتي بيتا و أرضا "

ورغم أن هذه البردية تعود إلى الأسرة السابعة والعشرين، وهي فترة الاحتلال الفارسي لمصر، في عهد الملك "ارتاجر كسيس الأول" (- .) إلا أنها لها أهمية عظيمة وخاصة كما ذكرنا اختلاط الآراميين بالمصريين وتأثرهم بالمصطلحات القانونية للفرعنة وخاصة في كتابة الوثائق القانونية، مما يدل على أن هذا هو المطبق بالفعل بين المصريين، فالحضارة الفرعونية قد يأتي عليها فترات احتلال ورغم ذلك فإن المحتل يذوب في طيات الحضارة المصرية ويتأثر بها، حتى أن بعض المحتلين يطلق على نفسه ألقاب فرعونية، مما يدل على تأثره بها.

(١) جاء الآراميون مصر وسكنوا في الفنتين وأسوان جنوباً، وشمالاً في الإسكندرية ومنف، وشكلت حامية عسكرية في الجنوب تدين بالولاء للملوك المصريين، وكانوا يحمون الحدود المصرية الجنوبية، ولقد عاشوا كأعضاء في المجتمع المصري يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات التي من ضمنها امتلاك الأراضي، وتأثروا بالحضارة الفرعونية فأخذوا مقوماتها وتبنوا طريقة كتابة الوثائق القانونية المصرية، بما تتضمن من مصطلحات قانونية تميزت بها الحضارة الفرعونية، وظهر ذلك في البرديات المكتشفة والتي ترجمها " كولي"، كما استخدموا التقويم المصري في وثائقهم. راجع نازك إبراهيم عبدالفتاح، المرجع السابق، ص

- _____ : وكانت صورته أن يتم منح الموظفين حق الانتفاع ببعض الأراضي من الدولة، مع بقاء ملكية الرقبة للملك والانتفاع لصاحب المنحة، وهو حق مؤقت ببقاء الموظف في وظيفته، أو أن () يهب المعابد أراضي يخصص ريعها لخدمة هذا المعبد، وهو ما يشبه الوقف في وقتنا الحاضر، وتسمى هذه الأراضي "بحقول الآلهة"، وتعد هذه الأرض محبوسة عن التداول ومقيدة بشرط الإنفاق من ريعها على ما خصصت لأجله^(١).

وبناء على ذلك فإن حق الملكية ثابت ومقرر ويكفل القانون له كل صور الحماية، لكل المصريين على السواء، وذلك بخلاف الرأي القائل الملك هو مالك كل شيء^(٢).

المطلب الثاني

المعاملات وإبرام العقود

لم يكن المجتمع المصري مجتمعا زراعيا مغلقا، بل كان أيضا مجتمعا تجاريا داخليا وخارجيا، فله علاقات تجارية دولية يستورد منتجات مثل الأخشاب والمعادن والذهب والبخور وغيرها.

وعلى ذلك كان يلزم وجود تنظيم دقيق لكافة المعاملات التي تتم، حيث تظهر الوثائق والنقوش المكتشفة معرفة المصريين لأنواع عديدة من

(١) د/ صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص ٣٤٤.

(٢) د/ محمد بدر، تاريخ القانون المصري في العصر الفرعوني - عصر توحيد القطرين والدولة القديمة، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة عين شمس، ١٩٧٣ م، ص ١١.

العقود مثل عقد البيع وعقد الإيجار وعقد العمل والوصية وغيرها، وقد نظمتها القوانين الفرعونية (بوكخوريس- أمازيس-....)^(١).

فقد وجد عقد بيع، يرجع إلى الأسرة الرابعة، تم بين الكاهن " والكاهن " كيمابو " نظير ثمن قدره عشرة شعت، وتم الوفاء بالثمن باستبداله ببعض الأشياء^(٢).

والناظر إلى هذه العقود يجد ما وصلت إليه الحضارة الفرعونية م في نظرية العقد، والتي تكاد تكون مطابقة لما وصلت إليه القوانين الحديثة في عصرنا الحاضر، فنجد مبدأ سلطان الإرادة، الشكلية، حرية التعاقد وغيرها.

فهذا قانون بوكخوريس: أطلق العنان لمبدأ الحرية في أمور المعاملات دون قيود، واعتمد هذا القانون نظام الإثبات بالكتابة وحلت محل اليمين وشهادة الشهود، ففي عهد الأسرة التاسعة عشر كان قد حل العقد الكتابي محل العقد الشفوي المستند إلى شهادة الشهود واليمين، ثم تطور الأمر شيئاً فشيئاً ناحية العقد الكتابي، حيث كان في البداية يتم العقد بحلف اليمين أمام القاضي ثم يقوم الكاتب بتدوين محتوياته، إلى أن انتهى الأمر بإلغاء القسم والتحول ناحية الشكل الكتابي للعقد^(٣).

(١) وكان عقد البيع يتكون من عقدين منفصلين، الأول وظيفته إثبات انتقال ملكية الشيء المبيع من البائع إلى المشتري، والثاني يسمى عقد تنازل وموضوعه إثبات تنازل البائع عن كافة حقوقه على الشيء المبيع، وكانت أركان العقد اتفاق - تراضي - ثمن.

د/ السيد عبدالحميد علي فوده، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٢) د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

وكان من أشهر الوثائق المكتشفة أيضاً عقد بيع منزل بالجيزة، وجد مكتوباً على حجر يرجع إلى عهد الملك خوفو (الأسرة الرابعة).

د/ السيد عبدالحميد علي فوده، مرجع سابق، ص ١١.

(٣) د/ مصطفى سيد أحمد صقر، مبدأ الرضائية في الحضارات القديمة، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية - كلية الحقوق جامعة المنصورة - مصر، ع ٢٥، ١٩٩٩م، ص ٨٦.

راجع كذلك د/ سمير عبدالمنعم أبو العنين، مرجع سابق، ص ٧٦.

ومن أهم ما جاء بهذا القانون إلغاؤه لنظام الإكراه البدني بالنسبة للديون، فأصبح المدين مسؤولاً عن دينه في ماله فقط دون جسده أو أسرته.

وفي هذا القانون أصبح مبدأ سلطان الإرادة أصل من الأصول القانونية، وعليه فيكفي الإرادة بذاتها لإنشاء التصرفات القانونية (الرضائية)^(١)، ولها الحرية في إبرام التعاقدات وتحديد مضمونها وشروطها وآثارها (مبدأ حرية التعاقد) ملزماً لهما، ويعبر عن ذلك في وقتنا الحاضر بمـ "العقد شريعة المتعاقدين".

نظم قانون بوكخوريس عقد القرض ووضع له أحكاماً خاصة بالفائدة، جعلت الحد الأقصى لها % ، % للحاصلات الزراعية، واستحدثت نصاً جديداً يقضي بعدم جواز تقاضي فوائد على متجمد الفوائد، وعدم جواز أن تكون جميع الأصول الدين مهما طاللت فترة الدين. وقد توسع هذا القانون في أحكام الرهن وذلك لضمان تنفيذ المتعاقدين لجميع التزاماتهم، وهذا يدل على ضرورة احترام بنود العقد المكتوبة، ويتضح ذلك في عقد الإيجار حيث أعطى للمؤجر امتيازاً على أموال المستأجر ضماناً للوفاء^(٢).

(١) ينبغي عدم الخلط بين التراضي والإرادة، فالإرادة مكون أساسية للتراضي، أما التراضي فيتكون من تلاقي الإيجاب والقبول على أمر واحد دون اشتراط تقديم أحدهم على الآخر، ولذلك فالأصل هو إبرام العقود بالتراضي دون اشتراط شكل معين أو إجراءات خاصة، إلا إذا اشترط القانون لقيام بعض العقود شكل أو إجراء معين.

د/ مصطفى سيد أحمد صقر، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٢) وقد استثنيت ديون الدولة والمعابد من هذا، فيجوز أن تصل فوائدها إلى أربعة أمثال أصل الدين.

د/ سمير عبدالمنعم أبو العنين، مرجع سابق، ص ٧٧.

تشريع أمازييس ويعتبره المؤرخون متمما لقانون بوكخوريس، وهو تقنيننا مصريا خالصا لم يتأثر بأي قوانين أجنبية^(١)، ولذلك نجد من أهم ملامحه تأكيده لحقوق الملكية الفردية للعقارات والمنقولات، مع إعطاء الحق المطلق للأفراد في التصرف فيها، وذلك تطبيقا لما هو مقرر سابقا في قانون بوكخوريس من مبدأ سلطان الإرادة، مع التأكيد لإثبات التصرفات القانونية، وقد فرق العلامة " جاك بيرين " بين البيوع في العقارات والمنقولات، ففي الأولى تشير النقوش المكتشفة إلى أنه يلزم أن يكون العقد مكتوبا ومختوما بخاتم الدولة وموقعا عليه من الشهود، أما بيوع المنقولات فإنها تتم بالتبادل، فدور الكتابة، فيما عدا بيوع العقارات، كان لإثبات التصرفات، ولو قيل بغير ذلك سيؤدي إلى عرقلة التعاملات وتشديد على الأفراد، فلهم الحرية في اللجوء إلى الكتابة ثبات التصرف لزيادة الاطمئنان، ففي عقد بيع " " ، نجد أن صيغة العقد قد تمت بإسلوب الماضي، مما يعني أن العقد قد تم الاتفاق عليه بمجرد التراضي بين الطرفين^(٢).

وقد اكتشف عقد بيع هذا نصه: " قد أخذت هذه الدار من الكاتب " بعوض، وقد أعطيت في مقابلها " " حياة الملك سأعطي ما هو حق وستكون أنت مستوفيا بذلك كل ما تفيده الدار، وقد أوفيت بجميع ما عليك دفعه وتم ذلك عن طريق الاستبدال، ختم بمكتب الأختام بإدارة مدينة الهرم " وبحضرة الشهود"^(٣).

من جماع ما سبق يمكن القول أن المصريين القدماء قد عرفوا تنظيميا راقيا للعقود والالتزامات، قائم على مبادئ أقرتها التشريعات الحديثة مثل سلطان الإرادة والرضائية و.....، حتى أنهم عرفوا أركان العقود، فمثلا عقد البيع أركانه الرضا والمحل والثمن والشكلية في بعض أنواعه.

(١) د/ سمير عبدالمنعم أبو العنين، التاريخ العام لأهم شرايع حضارات العالم القديمة، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٢) د/ مصطفى سيد أحمد صقر، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٧.

وعرفوا أيضا عقد الإيجار حيث دلت الوثائق على جواز أن يرد الإيجار على العقارات والمنقولات، وينعقد بالإيجاب والقبول، ويلزم تسجيله لدى الموظف المختص كما في عقد البيع.

وإذا نظرنا إلى الآثار المترتبة على عقد الإيجار نجد التزام المؤجر بالتمكين والضمان، والتزام المستأجر بدفع الأجرة المتفق عليها، وقد رتب القانون الفرعوني مبدأ مهما يقوم على عدم جواز تأبين عقد الإيجار، فإذا وجد عقد إيجار غير محدد المدة فإنه أعطى الحق لأي من المتعاقدين في إنهائه في أي وقت يشاء^(١).

وقد نظمت القوانين _____ والفوائد المقررة، ولم يكن يعرف مصري القديم عقد القرض بفائدة، حيث كانت المعتقدات الدينية تحرم الإقراض بفائدة، بل يلزم مساعدة الآخرين وإقراضهم قرضا حسنا، ولكن عندما اختلط المصريون بالأشوريين، في عهد الإقطاع الثاني، نقلوا عنهم فكرة القرض بفائدة، حتى تم تقنين الفائدة في قانون بوكخوريس، وت
()

المطلب الثالث

تولي الوظائف العامة

يعد التنظيم الإداري الدقيق الذي اتبعته الحضارة الفرعونية من أهم عوامل رقيها وتأثيرها الواضح في غيرها من الحضارات، فهو المعبر عن حالة التمدن والحضارة للمصريين القدماء.

(١) وهذا كله بخلاف فترات الإقطاع أو الانهيار التي قد تتعرض له مصر الفرعونية، حيث تختلط الأحكام، فنرى ظلم وعدم مساواة واستعباد ورقيق و....

د/ السيد عبدالحميد علي فوده، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

(٢) د/ السيد عبدالحميد علي فوده، المرجع السابق، ص ٣٢٥.

تطورا وقويا انعكس ذلك على الجهاز الإداري وأصبح قويا ومزدهرا أيضا^(١)، وعلى ذلك يخضع الموظف العام لنظام رئاسي متدرج، حيث يوجد رئيس السلطة التنفيذية (الوزير الكبار ثم مديرو مصالح الدولة في العاصمة ثم حكام الأقاليم ثم أخيرا صغار الموظفين، هذا هو تسلسل الإشراف والرقابة المعتمد في مصر الفرعونية، مما يدل على قوته ودقته^(٢)).

(١) اعتمدت مصر الفرعونية نظام الإدارة المركزية الذي ينظم الشؤون العامة للدولة كلها، وعرفت أيضاً نظام الإدارة المحلية الذي يقوم على اللامركزية الإدارية، مما يعني وجود إدارة تخطط وتضع القواعد العامة وتترك التنفيذ للإدارات المحلية مع وجود رقابة وإشراف على حسن تنفيذ ما تم التخطيط له.

ويعد النظام الإداري الذي اتبعته الحضارة الفرعونية من أرقى أنواع الأنظمة والذي يماثل النظم المتقدمة حالياً.

راجع للمزيد عن النظم الإدارية في الحضارة الفرعونية:

د/ عباس مبروك محمد الغريزي، تاريخ القانون المصري، بدون ناشر، ١٩٩٧م، ص ٧٧.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، المرجع السابق، ١٣٤.

(٢) مجلس العشرة يتكون من كبار الموظفين من رؤساء الدواوين العامة وبعض حكام الأقاليم، ولا يضم أحداً من رجال الدين أو العسكريين، والملك هو الذي يختار أعضائه، ويختص هذا المجلس بالإشراف على إدارة مرافق الدولة في أنحاء البلاد وسير العمل بها وذلك تحت إشراف وتوجيه الوزير، وليس من ضمن اختصاصاته شؤون الحكم أو القضاء، ويقوم كل عضو من أعضائه بالإشراف على أحد الدواوين العامة في البلاد، ويخضع لتعليمات وتوجيهات الملك ويقوم على حسن تنفيذها.

الوزير: منصب تم استحداثه ليحل محل المستشار الأكبر، وله اختصاصات دينية وقضائية، حيث كان يرأس المحكمة العليا، لذلك كان يطلق عليه قاضي البابين (بابي القصر الملكي).

د/ صوفي أبو طالب، مرجع سابق، ص ٣١٥.

ويتم التعيين في الوظائف العامة من المصريين، دون تفرقة، وذلك بناء على توافر معايير معينة (طبقاً لكل وظيفة)

()

في التعيين والترقية، وإلا تعرض للعقاب الوارد في القوانين المنظمة.

أدرك المصريون القداماء أن الوظيفة العامة لها قداستها وأهميتها في تقدم حضارتهم، لذلك فإن الإخلال بواجبات الوظيفة يعد جرماً كبيراً يتوجب عليه العقاب، فقد رأينا سابقاً إخلال القضاة (باعتبارهم من الموظفين العموميين) بواجبات وظيفتهم في واقعة مؤامرة الحريم وكيف تم توقيع العقاب عليهم.

وهناك أمثلة أخرى كالتالي:

ورد في نصوص مقبرة الوزير " ما يحدد واجبات الوزير والتزاماته، خاصة ناحية الموظفين ومن المسؤول عن عقابهم، فقد ورد توجيه أصدره بأن أي موظف توجه إليه تهمة كبيرة، فإن رئيسه المباشر ينظر فيها، وغير مسموح له أن يوقع على هذا الموظف المخل أي عقاب، وإنما يرسله إلى الوزير الذي يوقع العقاب المناسب طبقاً لجرمه ومدى ثبوته.

وقد أصدر الوزير " تعليمات بأن " إرسال الوزير لأي مبعوث ومعه رسالة إلى موظف، مهما كان منصبه، فلا يسمح للموظفين أن يجعلوا هذا المندوب ينحني أمامهم، فهو يبلغ رسالة الوزير وهو واقف أمام الموظف، دون أن يرافقه أحد، ثم يرجع إلى موقعه الأصلي بعد تبليغ الرسالة، فإذا حدث خلاف ذلك فمن حق الوزير معاقبة المخالف، ويكون استجوابه بمعرفة الوزير شخصياً" () .

(^١) مثل وظيفة كاتب، باعتبارها أول السلم الإداري، وكان هناك مدرسة لتعليم وتدريب المصريين يطلق عليها "مدرسة الحياة" للتأهيل لوظيفة كاتب.

د/ السيد عبدالحميد علي فودة، مرجع سابق، ١٣٦.

(^٢) د/ سوزان عباس، مرجع سابق، ص ٣٤٤، ٣٥٦.

وهذه وصية أوصى به أحد كبار الموظفين ابنه بأن يراعي الإلتقان والأمانة حيث قال له " لا تغمس قلمك في المحبرة لإيذاء أي شخص، لا تغش في المقاييس أو الموازين ولا ترتشي، إن جميع ما تفعله في غير عدالة لن يجلب لك البركة، إذ أن مكيالا واحدا يعطيه الإله خير من خمسة آلاف تكتسبها بغير حق" (١).

هذه هي الأمثلة على واجبات وحقوق الموظفين في العصر الفرعوني، وما لهذه المبادئ من قيم عالية تجعل المساواة بين المصريين هي الأساس المعمول به، حتى أنه عند توقيب العقاب ذات منظور راق فهي لا تحمل أي نوع من أنواع الانتقام الشخصي أو القوة الغشوم، بل هي موضوعية متناسبة، إلى حد ما، مع طبيعة الجرم وتحترم حق المتهم في محاكمة عادلة، وعلى ذلك نستطيع قانوني، فليس من حق رئيس العمال إنهاء تعاقد الموظف أو توقيع عقوبة بدون تحقيق.

أما قواعد عقد العمل الخاص ومدى وجوده، فقد أشرنا إليه سابقا في مطلب الشخصية القانونية) (، فنحيل إليه

(١)د/ محمد محسوب، مرجع سابق، ص ٢١٤.

مطلب ختامي

مصدر القيم والأخلاق في القانون الفرعوني

إن التدين والخوف من الإله هو سر رقي وتقدم الحضارة الفرعونية، فالدين كان يملاً حياة المصري القديم، الذي عرف الحياة الآخرة والبعث بعد الموت والحساب والميزان والجنة والنار.

فالإيمان والتوحيد سمات الحضارة الفرعونية، وذلك في عصور التدهور والتي أرسل الله فيها الرسل ليعود الناس للحق، وهذا ما جعل المصري القديم يصنع المعجزات الحسية والروحية، مثل بناء الأهرامات ()

فهذه الآثار الفرعونية دالة على الإيمان والتوحيد، فقد صورت الحساب بالميزان، وهذا موفق للقرآن في تصوير حين قال " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره () ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " :

وأعتقد أنه بهذا المفهوم، عن الحضارة الفرعونية، فإنهم في معظم فتراتهم كانوا موحدين ومؤمنين، إلى أن تأتي فترات البعد عن الدين والتوحيد فيرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، ليعودوا مرة أخرى إلى حظيرة التوحيد، قال تعالى " ذريتهم وأشهدهم أنفسهم بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا هذأ غافلين " () " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " () .

(^١) فالهرم بني على مساحة ثلاثة عشر فدان وارتفاع أربعمائة وثمانون قدم، ويحتوى على مليونين وثلاثمائة ألف حجر بمتوسط طنان ونصف لكل صخرة، فبأي قوة وطاقه أمكنهم إنجاز هذا العمل الضخم، إلا بقوة الإيمان والتوحيد.

أحمد حسين، مرجع سابق، ص ١٢ .

فالتوحيد هو فطرة الله منذ آدم عليه السلام، أما ما يوجد من آثار ترجمت على أنها تعدد للآلهة، من مثل اعتبار المصريين للملوك والفرعنة آلهة أو أنصاف آلهة، فإن مصدر هذا التفسير يرجع إلى باحثين ومفكرين أجانب من مثل هيرودت وغيره من المؤرخين الإغريق والرومان^(١) الذين لم يكن لهم علم ولا دراية واسعة باللغة المصرية القديمة ومصطلحاتها وتعابيرها، وعلى ذلك أوجدوا فكرة زواج الأخ من أخته استناداً إلى عبارات واردة في رسائل من الزوج لزوجته مثل " " أختك الحبيب "، ولكن لم يفتن قائلو هذا الرأي إلى أن المصري القديم قد صان ورفع من قدر زوجته إلى منزلة الأخت، وأن كلمة أختي وأخي تستعمل، في هذا الموقف، كمرادفتان لكلمة حبيبتي وحبيبي، هذا بالإضافة إلى أنه لم يعثر على وثيقة واحدة تؤكد قيام الزواج بين الأخوة^(٢).

يلزم مراجعة تفسيرات المؤرخين عن الحضارة الفرعونية وخاصة فيما يتعلق بتعدد الآلهة، وغيرها من الموضوعات التي تتنافى مع القيم والمبادئ السامية^(٣)، فقد رأينا كم التدين والأخلاق النابع من

(١) خاصة المؤرخين الإغريق والرومان الذين جاءوا إلى مصر في أواخر العصور الفرعونية، فهم لا يعرفون قراءة الكتابات المصرية القديمة وبالتالي فهم يلجئون إلى صغار الكهنة والكتاب المصريين لترجمة هذه الرسومات، فقد يزودهم بمعلومات مفصلة عن التاريخ المصري، ولذلك اختلقوا القصص والروايات المغلوطة، فمثلاً هيرودوت ذكر أن الملك خوفو قد أنفق أموال الدولة على بناء هرمه حتى نفذت واحتاج إلى المزيد فأمر ابنته بممارسة الدعارة للحصول على المال، ورأت هذه الابنة أن كل من يريد لها فليهدى إليها حجراً لكي تبني به هرمًا، وغيرها من القصص المقتعلة عن الملوك.

مختار السويقي، أكاذيب ذكرها هيرودوت في كتابه عن مصر القديمة، مجلة إدارة الأعمال - مصر، العدد ١٠٥، ٢٠٠٤م، ص ٣٣.

(٢) د/ عباس مبروك محمد، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٣) ففي حضارتنا الحديثة قد نستخدم ألفاظ مثل رب الأسرة ورب العمل ورغم ذلك لا ينفي أحد على قائلها التوحيد، فلماذا لا نعتبر أن عدم فهمنا لألفاظ وعبارات الحضارة الفرعونية هو الذي جعل البعض يفهم وجود تعدد للآلهة في مصر الفرعونية، ورغم ذلك نؤكد على أن أي زمان وحضارة كانت فيها فترات انحطاط ورجوع عن الفطرة البشرية ولهذا يرسل الله الرسل.

الإيمان والتوحيد، فهناك رسل أرسلها الله تعالى إلى مصر مثل نبي الله يوسف وموسى وعيسى وغيرهم ، مما يعني بأن رسالة التوحيد معروفة

فهذا ازوريس" نبي الله إدريس" أول من علم المصريين الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادئ الفلك والتنجيم، قام يدعو الناس إلى طاعة الله عز إدريس^ع إنه صديقا

نبيا" (مريم) (١)، وهو الذي قام بتخطيط المدن، وجمع طلاب العلم في كل مدينة ليعلمهم أمور الحق والعدل، التي انتشرت بين جميع المصريين حكاما ومحكومين، فجميع الآثار المكتشفة تدعو إلى الحق والعدل، وفي تأكيداً على قيام إدريس عليه السلام بنشر دعوة العدل والحق والتوحيد.

وهذا نبي الله يوسف جاء برسالة التوحيد ونشرها بين المصريين، وقد أتى بأبيه يعقوب عليه السلام وأجلسه في مصر أربعة وعشرين سنة، كل هذه السنين دعوة لله عز وجل لاقت صداها في قلوب المصريين (٢).

(١) نبي الله ادريس من نرية آدم عليه السلام وهو من سلالة شيت ابن آدم، أسمه في التوراة "خنوخ" وفي الترجمة العربية "أخنوخ" وهو أول نبي بعد آدم، ومن المؤكد أنه ولد وعاش بمصر يدعو إلى الله، ويقال أنه قد بنى بعض الأهرام الأولى في صعيد مصر العليا وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم.

منصور الرافعي عبيد- أسماعيل عبدالفتاح - رزق السيد هيبه، ادريس عليه السلام ذو المكان العلي، دار الفكر العربي للطبع والنشر، بدون سنة نشر، ص ٧، ٨، ٢١.

(٢) محمد الفقي، قصص الأنبياء، مكتبة وهبة للنشر- مصر، ١٩٨٩م، ص ١٦٢. يعد نبي الله يوسف عليه السلام من الشخصيات المؤثرة في العقيدة الدينية المصرية، فقد نشأ وتعلم تعليماً مصرياً خالصاً، وتتابع ظهور الأنبياء في مصر مثل موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام الذي هرب إلى مصر من الحاكم الروماني هيروود، وجاء برسالة التوحيد في مصر ولاقى قبولاً واستحساناً.

د/ مسلم راشد الرواحنة، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

ناصر عبدالفتاح، قصة سيدنا عيسى عليه السلام، دار التقوى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص ٤٥.

أما ما يثار من ترجمة المؤرخين لوجود آلهة بلغت ألفين وثمانمائة إله، فوفقاً لما سبق وما هو ثابت من الاكتشافات الأثرية فإن هذا العدد ليس آلهة، وإنما هي أسماء وصفات وأفعال للإله الواحد، فكلمة إله في الهيروغليفية " تعني اليد القوية وهي صفة من الصفات (١) ترنيمة مديح إلى الإله يقول " " " " أيه الرب الواحد الوحيد صانع الأشياء الكائنة...." (٢)، ونجد على متون الأهرام عبارة مكتوب فيها " الإله واحد أحد ليس مثلي أحد" (٣).

وهذه أشودة إخناتون التي تعد شرحاً بليغاً لعقيدة التوحيد في مصر الفرعونية حيث يقول " أنه أي الإله الواحد هو أصل الحياة وبدؤها، وهذه الصفة تلازم الإله الخالق الواحد " أنت الإله الأوحد خلقت بلاد (سوريا) () " (٤).

(١) هذه نظرية د/ سيد كريم، راجع الموقع الإلكتروني " دابمحوتب القرن العشرين - العمارة والفن" روجع بتاريخ ٢٨/١٢/٢٠١٥.

www.sayedkarim.com/masryat7.php

راجع كذلك مقال للدكتور مصطفى محمود، تاريخ التوحيد في أرض الكنانة، روجع بتاريخ ٢٨/١٢/٢٠١٥.

www.startimes.com/f.aspx?t=34799463

(٢) د/ فليب عطية، كتاب الموتى الفرعوني (عن بردية "أني" بالمتحف البريطاني) الترجمة عن الهيروغليفية السير والس بدج، مكتبة مديبولي القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٣٠.

(٣) د/ مسلم رشد الرواحنة، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٤) د/ مسلم رشد الرواحنة، المرجع السابق، ص ٢٩٥.

ينتمي إخناتون إلى عصر الأسرات الحديثة وحكم مصر من عاصمتها طيبة، ودعى إلى إله واحد ومنع الشعب من عبادة أي آلهة أخرى، وأهمل المعابد وكهنتها اعتقاداً منه بأن الكهنة هم سبب الخراب الديني سابقاً، فهو من أحدث ثورة التغيير على المفهوم الديني والثقافي والفني، واستمر حكمه اثني عشر عاماً أو ثلاثة عشر عاماً ثم أتى من بعده توت عنخ أمون.

من جماع ما تقدم فإن عقيدة التوحيد هي الأصل في الحضارة الفرعونية،
إلا في فترات الاضمحلال كما سبق القول، وهذا ناتج
للعديد من الرسائل والأنبياء، الذي أدى إلى انتشار عقيدة التوحيد وأفكار
ومبادئ تحث على العدل والمساواة بين المصريين، فهم أول من آمنوا
بعقيدة التكوين والبعث والتوحيد.

إن مجال مناقشة الديانة المصرية الفرعونية كبير جداً، ولا يحتمل هذا
نحيط بكافة نواحي التوحيد والكتب السماوية في مصر، ولذلك
سنناقش هذا باستفاضة في بحث مستقل قادم بإذن الله تعالى.

ونظراً لديانة التوحيد التي أتى بها اخناتون (وأسباب أخرى) جاء التمرد عليه وعلى أفكاره
في عهد حور محب الذي هدم مدينة اخناتون كلياً وأزال أي أثر أو سجلات لإخناتون
ومحى أسماء الملوك الأربع المنتمين إلى مرحلة العمارنة (اخناتون - سمنخ رع - توت
عنخ أمون - آي).

راجع اندرو كولنيز - كريس أوجيلفي - هيرالد، ترجمة رفعت السيد على، توت عنخ أمون -
مؤامرة الخروج - حقيقة أعظم لغز أسري، دار العلوم للنشر والتوزيع - الجمعية المصرية
للدراستات الحضارية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٤٢، ٤٥.

الخاتمة

تناول البحث القيم الأخلاقية التي جاءت بها الحضارة المصرية القديمة، فقد بنيت هذه الحضارة على العدل والمساواة ما جعلها علامة فارقة في الـ الإنسانية، ومحل دهشة وإعجاب من جميع المؤرخين.

فقد تقرر للمصري القديم حقوقا مدنية عديدة فريدة من نوعها، وذلك بالنظر إلى الحضارات القديمة الأخرى، انبثقت هذه الحقوق من قيم ثابتة في المجتمع، نابعة مما استقر في نفوس المصريين، مما جعلها راسخة لا يجوز تداء عليها أو التقليل منها.

وبالنظر إلى هذه الحقوق نجدها لا تخرج عن:

- حقوق جعلت كل المصريين على قدم المساواة أمام القانون.
- ومنها ما قرر حق التقاضي لكل المصريين بكل حرية دون وسيط، مع تقرير نزاهة فاعلة للقضاء.
- ومنها ما قرر حقوقا للمرأة جعلها مساوية للرجل في العديد من الأمور الحياتية، مثل حقها في التقاضي دون وسيط، وحقها في أن ترث وتورث، وأن تبرم التعاقدات بحرية مثل الهبة والوصية لمن -
- ومنها ما قرر مبادئ سامية لاستقرار الأسرة وزيادة ترابطها واحترام كل فرد فيها، مع تقرير شخصية قانونية وذمة مالية مستقلة لك
- ومنها ما نفى الرق عن المصريين، وجعل حرية المصري القديم

هذا بعض ما اهتمت به الحضارة المصرية القديمة، وما قررته من قيم وحقوق، ناقشها البحث وأبرز ما تمتعت به من تقدم ورقي. هذه القيم والحقوق في فترات التميز والرقي الخلفي للحضارة المصرية،

وهذه الفترات لا ينفي أحد ما أصاب المصري القديم فيها من اضطراب في الحقوق والحريات، وهي فترات مؤقتة لا يلبث فيها المصري القديم أن يثور عليها مطالباً بحقوقه وحرياته المستقرة في نفوس المصريين، ولا يملك الحاكم إلا تقريرها رغبة في إرضاء الإله والمصريين.

التوصيات:

وفي سبيل تحقيق أهداف هذا البحث، الواردة في المقدمة، توصي الدراسة بما يلي:

- يلزم زيادة اهتمام الدولة بالحضارة الفرعونية، وذلك بسرعة الكشف والتنقيب عن الآثار الفرعونية، فما وصلنا هو القليل، وذلك لإبراز القيم الكبيرة لهذه الحضارة.
- ضرورة الاهتمام بالجانب الأخلاقي في حياتنا المعاصرة، فصوت الأخلاق إذا فقد يؤدي إلى انهيار الحضارات، وإذا وجد تقدمت الأمم مثلما كان في الحضارة الفرعونية والإسلامية قديما.
- يلزم التوسع في تدريس الحضارة الفرعونية للمراحل التعليمية المختلفة، حتى نستطيع أن نزيل ما علق في الأذهان من مفاهيم خاطئة عنها، وفي ذلك تصدي لتهويد التاريخ المصري، فمن ضمن الأسباب التي أدت إلى عدم العناية بدراسة القانون في مصر القديمة هو ما علق في الأذهان من أن تلك الحقبة كانت وثنية كافرة يلزم عدم الاهتمام بها، وهذا ما نفاه البحث، بالإضافة إلى قلة الآثار المكتشفة.
- تشجيع الباحثين وعلماء الأثرىات على دراسة وإعادة ترجمة الحضارة الفرعونية بما يتواءم مع فهمهم للواقع المصري، فقد رأينا سابقا ما قام به المؤرخون الأجانب من تفسير وترجمة النصوص الفرعونية بما يتنافى مع قيم المجتمع المصري القديم والسابق توضيحها، وذلك من شأنه أن يؤدي إلى نفي هذه الأكاذيب.
- يلزم عدم الاعتماد على النقوش الفرعونية المكتشفة وحدها في التعرف على آداب وأخلاقيات تلك الحضارة، فهي تمثل قيمة بل يلزم الاجتهاد نحو إعادة اكتشاف اللغة الفرعونية من جديد.
- يلزم مراجعة تفسيرات المؤرخين عن الحضارة الفرعونية وخاصة فيما يتعلق بتعدد الآلهة، لأن ذلك يتنافى مع القيم والمبادئ السامية للحضارة الفرعونية.

- أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة،
- أحمد السعيد الزقرد، المدخل للعلوم القانونية- نظرية
- أحمد السعيد الزقرد، المخل للعلوم القانونية- النظرية العامة للحق، مطبوعات كلية الحقوق جامعة المنصورة،
- أحمد محمد أحمد مندور، اقتصاديات الموارد الطبيعية والبشرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع-
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب القدر- كل مولود يولد على الفطرة، المحقق أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر،
- تبة مدبولي، الطبعة الثانية،
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية- هـ.
- ابن سينا، الأخلاق عند ابن سينا، مجلة دفاثر فلسفية الصادرة عن كرسي اليونسكو - جامعة الزقازيق، و مجلة دراسات إسلامية والتي تصدر عن الجامعة الإسلامية بباكستان، عدد خاص عن الإسلام في بلاد ما وراء النهر،
- اندرو كولينز- كريس أوجيلفي- هيرالد، ترجمة رفعت السيد على، حقيقة أعظم لغز أسري، دار للنشر والتوزيع- الجمعية المصرية للدراسات الحضارية،

- جيهان السيد سعد الدين، المرأة بين التحقير والتوقير في فلسفتي أفلاطون وأبيقور، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش- عين شمس-
- جمال الدين عطية، بين القانون والأ -
- حكمت محمد أحمد بركات، دور المرأة في المجتمع وأثره على التعبير في الفن المصري القديم، مجلة علوم وفنون دراسات وبحوث- إبريل ، -
- سعد الدين السيد صالح، الأخلاق في ضوء الفكر الإسلامي، العلمية لكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر- الزقازيق، صدرت / / .
- سمير عبدالمنعم أبو العنين، المضمون الأخلاقي للقواعد الدولية، - القاهرة-
- سمير عبدالمنعم أبوالعنين، التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديم، دار النهضة العربية،
- سمير عبدالمنعم عبدالخالق أبو العنين، مفهوم الشخصية القانونية في نظم قوانين العصور القديمة، بدون ناشر،
- سهير منتصر، القانون والأخلاق، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى " أخلاقيات الإدارة والأعمال من أجل مستقبل أفضل" المنظمة العربية للتنمية الإدارية- -
- سعيد عبدالله حارب، الحقوق الاجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع، مجلة الجامعة الإسلامية (رابطة الجامعات الإسلامية)
- سوزان عباس عبداللطيف، العقوبات البدنية في مصر الفرعونية إبان بثة، مجلة كلية التربية- جامعة الإسكندرية، المجلد
- شوقي عبده الساهي، الحقوق الزوجية للمرأة عبر الحضارات والشرائع السماوية والشريعة الإسلامية، مكتبة النهضة - فهرسة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،

- شيخة عبيد دابس الحربي، ترتيبات ما قبل الزواج في مصر القديمة، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني الكويت، س

- صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مركز التعليم المفتوح جامعة القاهرة-

- عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، أساس الحضارة الإسلامية الحديثة، صحيفة دار العلوم-

النهضة-

- عباس مبروك محمد، تاريخ القانون المصري، كلية الحقوق جامعة المنوفية،

- عبدالعزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

- عباس مبروك الغزيري، تاريخ القانون المصري " كلية الحقوق جامعة المنوفية،

- غازي التوبة، مفهوم الحضارة في القرآن الكريم ومالك بن نبي أ

الإسلامية- الكويت-

- فليب عطية، كتاب الموتى الفرعوني (عن بردية " " البريطاني) الترجمة عن الهيروغليفية السير والس بدج، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الأولى،

- فخري أبو سيف حسن مبروك، مظاهر القضاء الشعبي لدى حضارات القديمة (مصر الفرعونية- اليونان-) القانونية والاقتصادية كلية الحقوق جامعة عين شمس، مج

- فاروق محمد على، مفهوم الحضارة، مجلة العرب والمستقبل- جامعة المستنصرية العراق، العدد

- محمد محسوب، العدالة وأثرها في الشرائع القديمة، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية- حقوق المنوفية، مجلد رقم // .
- وسيم السيسي، نعيش زمن الغيبوبة، حوار بجريدة الوفد المصرية، الخميس // .
- محمد حسين سيد، رسالة دكتوراه بعنوان " أهمية العنصر الـ في تحقيق أهداف الشركات" مقدمة إلى الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، .
- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الورق للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة رقم .
- محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، .
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نجيب العرقسوسي، الناشر مؤسسة الرسالة لبنان، الطبعة .
- موسى لحرش، البعد الوظيفي في مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، .
- مهدي محمد القصاص، محاضرات في علم الاجتماع القانوني والضبط .
- محمد بدر، نظم القانون الخاص في الدولة القديمة، بدون ناشر ولا .
- محمد بدر، تاريخ القانون المصري في العصر الفرعوني- توحيد القطرين والدولة القديمة، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة عين شمس، .
- مصطفى سيد أحمد صقر، مبدأ الرضائية في الحضارات القديمة، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية- كلية الحقوق جامعة المنصورة- .

- مختار السويفي، أكاذيب ذكرها هيرودوت في كتابه القديمة، مجلة إدارة الأعمال-
- منصور الرافي عبيد- أسماعيل عبدالفتاح - رزق السيد هيبية، ادريس عليه السلام ذو المكان العلي، دار الفكر العربي للطبع
- ناصر عبدالفتاح، قصة سيدنا عيسى عليه السلام، دار التقوى للنشر والتوزيع،
- نازك إبراهيم عبدالفتاح، إعادة قراءة بردية آرامية من مصر) (" " - مركز الدراسات البردية والنقوش - جامعة عين شمس- -
- السيد عبدالحميد علي فوده، القانون الفرعوني، دار النهضة العربية،
- أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب للنشر - القاهرة،
- محمد الفقي، قصص الأنبياء، مكتبة وهبة للنشر-
- عباس مبروك محمد الغريزي، تاريخ القانون المصري، بدون ناشر،
- محمد حسين أحمد منصور، نظرية القانون، بدون ناشر،
- السيد عبدالحميد علي فوده، جوهر القانون، دار الفكر الجامعية،
- أشرف جابر سيد موسى، دروس في مبادئ القانون، بدون ناشر،
- " ويكيبيديا" على الإنترنت، تاريخ الاطلاع : / /

الفلاح الفصيح:

[www.ar.wikipedia.org/wiki\](http://www.ar.wikipedia.org/wiki/)

- موقع العربية نت على الإنترنت الرجوع للموقع بتاريخ
/ / .

[www.alarabiya.net/articles\ \ \ .ht
ml](http://www.alarabiya.net/articles/)

- محمد بشارة، فهم القوائم المالية، موقع الإنترنت بتاريخ
/ / .

www.infotechaccountants.com

- مدونة المحاسب الأول على الإنترنت، تاريخ التصفح
/ / .

[www.almohasb.com\ \human-asset.html](http://www.almohasb.com/human-asset.html)

- " دابموحوتب القرن العشرين-
/ / . روجع بتاريخ

[www.sayedkarim.com/masryat .php](http://www.sayedkarim.com/masryat.php)

- مقال للدكتور مصطفى محمود، تاريخ التوحيد في أرض الك
/ / . روجع بتاريخ

www.startimes.com/f.aspx?t=